

مسائل توحيد الله تعالى
في قوله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُون}[البقرة:١٨٦].



د. خالد ناصر مناحي بن ربيعان

جامعة الملك فيصل عضو هيئة التدريس

ملخص البحث:

يدور البحث حول استخراج المسائل العقدية المتعلقة بالله تعالى من قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[البقرة:١٨٦]، واخترت المسائل المتعلقة بتوحيده تعالى في الربوبية والأسماء والصفات والألوهية، وقد احتوت هذه الآية العظيمة على قصرها على مسائل وأصول من تمسك بها حصلت له النجاة والسعادة والفوز في الدنيا والآخرة، فهي تتكلم عن إفراد الله بالربوبية، والخلق، والملك، والرزق، والإحياء والإماتة وغيرها من صفات الربوبية، وبينت أن ذلك مستقر في فطر كل المخلوقات إلا من كابر منهم وعاند، وبينت من خلال الآية دلالتها على هذه المسائل الكبار، وكذلك بينت منهج أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، وبينت دلالة الآية على عدة صفات ثابتة لله تعالى، ودالة على كماله، منها: إثبات صفة المعبودية والألوهية، والقرب، والإجابة وقيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى، وبينت في جانب الألوهية شمولية مفهوم العبادة التي يجب إفرادها لله تعالى عند أهل السنة والجماعة، وأصولها التي تدور عليها، وأوضحت دلالة الآية محل البحث على إثبات توحيد العبادة لله تعالى من وجوه عدة: كدلالة الفطرة على إثبات توحيد العبادة فإن إجابة الله تعالى في الآية كانت عن مسائل واضحة، تقر بها الفطرة، ولا يحتاج في إثباتها إلا مجرد ذكرها، ولا يحتاج لذكرها أدلة مؤيدة لها، ودلالة قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ على مقام (الإحسان) في عبادة الله تعالى، ودلالة الآية على إبطال الشرك في الألوهية من أمرين: الأول: دلالة صفة القرب على إبطال الشرك في عبادة الله تعالى، والثاني: دلالة قوله ﴿إِذَا دَعَانِ﴾ على إبطال الشرك في عبادة الله تعالى، ودلالة الآية على مقام إخلاص العبادة لله تعالى، ودلالة الآية على وجوب العبادة على الخلق، وأنه وحده الذي يطاع طاعة عبادة، ودلالة الآية على عبودية الدعاء، ووجوب الإخلاص فيه.

Abstract

The research revolves around the extraction of contractual issues related to God Almighty from his saying: {And when My servants ask you, [O Muhammad], concerning Me - indeed I am near. I respond to the invocation of the supplicant when he calls upon Me. So let them respond to Me [by obedience] and believe in Me that they may be [rightly] guided (Albaqarah, 186)}. And I chose the issues related to God's monotheism in divinity, names, attributes, and divinity, and this great verse contained its confinement to the issues and principles of those who cling to it, who attained salvation, happiness, and success in this world and the hereafter. Attributes of divinity, and showed that this is settled in the innate nature of all creatures except those of them who are arrogant and obstinate, and showed through the verse its indication of these major issues, as well as showed the approach of the Sunnis and the community in unifying the names and attributes, and showed the indication of the verse on several fixed attributes of God Almighty, and an indication of Its perfection, including: proving the attribute of worship and divinity, nearness, answering, and doing optional actions with God Almighty, and showed in the aspect of divinity the comprehensiveness of the concept of worship that must be singled out for God Almighty among the people of Sunnah and the community, and its principles that revolve around it, and clarified the indication of the verse in question to prove the unification of worship to God almighty in many aspects: the evidence of instinct to prove the unification of worship, as the answer of God Almighty in the verse was about clear issues, recognized by the instinct, and does not need to prove be proved except by mere mention of it, and does not need supporting evidence when mentioning it. The indication of His saying, the Most High: {indeed I am near} to the position of (Ihsan) in the worship of God Almighty. And the verse's indication of the annulment of polytheism in divinity is of two things: the first: the indication of the attribute of nearness to the annulment of polytheism in the worship of God Almighty, and the second: the evidence of his saying {when he calls upon Me} to the annulment of polytheism in the worship of God Almighty, and the verse's indication of the station of sincerity of worship to God Almighty. Also, the indication of the verse on the obligation of worship upon creatures, and that He alone is the one who must be obeyed for the sake of worship, and the indication of the verse on the servitude of supplication, and the obligation of sincerity in it.

[المقدمة]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فإن البحث في المسائل المتعلقة بالله تعالى من أعظم الأمور التي يشغل بها المسلم وقته، وفيها منفعة للباحث والقارئ، ومن أعظمها ما يتعلق باستخراج العقائد من كلام الله تعالى في القرآن الكريم، وخاصة المسائل المتعلقة بتوحيد الله ﷻ: في الربوبية والأسماء والصفات والألوهية، حيث إنها مسائل تتعلق بها نجاة المرء في الدنيا والآخرة، وتتعلق بها العلاقة بين المسلمين في الولاء والبراء، فأحببت أن أسهم باستخراج ما احتوت عليه هذه الآية العظيمة من مسائل عقدية كبيرة في أقسام التوحيد.

[مشكلة البحث] عدم وجود دراسات سابقة عن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[البقرة:١٨٦] ودلالته على مباحث توحيد الله تعالى في الربوبية والأسماء والصفات والألوهية.

وبسبب هذه الدلالات العظيمة في الآية، فقد استعنت بالله تعالى في بيان معتقد أهل السنة والجماعة التي أخذوها واستنبطوها من الآية، وما احتوت عليه من مسائل عظيمة في إثبات أقسام التوحيد الثلاثة: إثبات توحيد الربوبية، وإثبات توحيد الأسماء والصفات، وإثبات توحيد الألوهية.

[أهمية الموضوع وأسباب اختياره]:

١- المنزلة العظيمة لآية: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾، واهتمام العلماء بذكرها في مصنفاتهم، وتفسيرها.

٢- أهمية الأصول العقدية التي دلت عليها الآية عند المسلمين.

٣- خطورة فهم المسائل التي دلت عليها الآية بالطريقة البدعية.

[أهداف البحث]

١ – تدبر القرآن الكريم واستخراج دُرره في المسائل الكبيرة المتعلقة بتوحيد الله تعالى، ومنها هذه الآية.

٢- كل ما دلت عليه النصوص القرآنية من مسائل عقدية جاءت السنة موافقة لها، واعتقدها السلف ومنها هذه الآية.

٣- بيان عظمة كلام الله تعالى، وأن الآية القصيرة تحتوي على أصول عظيمة تنفع المسلم في دينه وآخرته.

[الدراسات السابقة]:

لم أجد فيما أعلم دراسة سابقة أفردت البحث عن هذه الآية في المسائل المتعلقة بتوحيد الله تعالى.

[إجراءات البحث]: سلكت المنهج الاستقرائي والاستنباطي، وعزوت الآيات وخرجت الأحاديث مكتفيا بالصحيحين، فإن لم يخرجاه فإنني أجتهد في تخريجه من المصادر المعتمدة، وأعتني بتعريف الفرق، وتوثيق الأقوال، وذكر وفاة الأعلام.

[خطة البحث] قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وفهرس المراجع.

المقدمة: واشتملت على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وإجراءات البحث، وخطة البحث.

المبحث الأول: دلالة الآية على ربوبية الله، ويشتمل على:

المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية.

المطلب الثاني: دلالة الآية على إثبات وجود الله تعالى وربوبيته.

المبحث الثاني: دلالة الآية على توحيد الأسماء والصفات، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف اللغوي للأسماء والصفات.

المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي للأسماء والصفات.

المطلب الثالث: دلالة الآية على إثبات توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الثالث: دلالة الآية على توحيد العبادة، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف توحيد العبادة.

المطلب الثاني: دلالة الآية على إثبات توحيد العبادة.

الخاتمة، وفهارس المراجع.

المبحث الأول: دلالة الآية على ربوبية الله، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية.

أصل كلمة التوحيد من مادة (وحد)، فيقال: وحد يوحد توحيدًا: أي جعله واحدًا، ومادة (وحد) في اللغة مصدرها على انفراد الشيء[١]، فتوحيد الله معناه إفراد الله، فإن قلت: توحيد الله بالربوبية فمعناه: إفراد الله بالربوبية، وهكذا بقية أنواع التوحيد.

الربوبية لغة: مصدر من الفعل ربب، ومنه الرب، فالربوبية صفة الله، وهي مأخوذة من اسم الرب، والرب في كلام العرب يطلق على معان: منها المالك، والسيد المطاع، والمصلح[٢].

أما في الاصطلاح: فإن توحيد الربوبية هو إفراد الله بأفعاله، ومنها الخلق والرزق والإنعام والملك والتصوير، والعطاء والمنع، والنفع والضر، والإحياء والإماتة، والتدبير المحكم، والقضاء والقدر، وغير ذلك من أفعاله التي لا شريك له فيها، ولهذا فإن الواجب على العبد أن يؤمن بذلك كله.

وعرفه ابن جرير(ت٣١٠هـ) بقوله: ((فربنا جل ثناؤه السيد الذي لا شبه له، ولا مثل في سؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر))[٣]، وقال ابن تيمية(ت٧٢٨هـ): ((والرب: هو المربي الخالق الرازق الناصر الهادي))[٤]، وفي لفظة أخرى قال: ((والرب: هو الذي يربي عبده فيعطيه خلقه ثم يهديه إلى جميع أحواله من العبادة وغيرها))[٥].

وعرف ابن القيم(ت٧٥١هـ) الربوبية بقوله: ((فيشهد صاحبه قيومية الرب تعالى فوق عرشه، يدبر أمر عباده وحده، فلا خالق ولا رازق ولا معطي ولا مانع ولا مميت ولا محيي ولا مدبر لأمر المملكة ظاهراً وباطناً غيره، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا يجري حادث إلا بمشيئته، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا أحصاها علمه، وأحاطت بها قدرته، ونفذت بها مشيئته، واقتضتها حكمته، فهذا جمع توحيد الربوبية))[٦]، وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب(ت١٢٣٣هـ): ((وهو: الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر))[٧]، وقال الشيخ السعدي(ت١٣٧٦هـ): ((توحيد الربوبية: بأن

---

(١) انظر: كتاب العين (٣/ ٢٨١)، وتهذيب اللغة (٥/١٢٤)، ولسان العرب (٣/ ٤٤٦).

(٢) انظر: القاموس المحيط ص:١١١، ولسان العرب :١/٣٩٩.

(٣) تفسير الطبري (١/ ١٤٣)

(٤) مجموع الفتاوى (١٤/ ١٣)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٨٤)، (١٠/ ٥٢٧)

(٥) مجموع الفتاوى (١/ ٢٢).

(٦) مدارج السالكين: ٣/٥٣٢، وانظر: بدائع الفوائد (٢/٣٦-٣٥، ٢٤٧، ٢٤٩)، وشفاء العليل (ص: ٦٦، ٧٨).

(٧) تيسير العزيز الحميد (ص: ١٧).

يعتقد أن الله هو الرب، المتفرد بالخلق والرزق والتدبير، الذي ربى جميع الخلق بالنعم، وربى خواص خلقه- وهم الأنبياء وأتباعهم- بالعقائد الصحيحة، والأخلاق الجميلة، والعلوم النافعة، والأعمال الصالحة، وهذه هي التربية النافعة للقلوب والأرواح المثمرة لسعادة الدارين))[١].

وتوحيد الربوبية يشتمل على أمرين:

١ - الإيمان بوجود الله تعالى.

٢ - الإقرار بأن الله تعالى خالق كل شيء، ومالكه، ورازقه، وأنه المحيي، المميت، النافع، الضار، المتفرد بإجابة الدعاء، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، المقدر لجميع الأمور، المتصرف فيها، المدبر لها، ليس له في ذلك كله شريك[٢].

وهناك علاقة وثيقة بين الكلام عن وجود الله تعالى وبين ربوبيته تعالى، فالإقرار بوجود الله هو إقرار بوجود خالق مدبر رازق لما عداه، وهذه هي معاني الربوبية، فمن يقر بوجود الخالق لهذا الكون يعني تمامًا الإقرار بربوبيته، لا فرق بينهما.

المطلب الثاني: دلالة الآية على إثبات وجود الله تعالى وربوبيته.

لقد دل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦] على إثبات وجود الله تعالى وربوبيته بأتم بيان، وبيانه فيما يلي:

أولاً: دلالة الآية على إثبات وجود الله تعالى: فسؤال العباد في الآية للنبي ﷺ عن الله تعالى هو سؤالٌ عامٌ، لم يحدد في الآية ماهية السؤال، وإنما اكتفت الآية بقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾، وهذا العموم يدخل فيه من يسأل عن إثبات وجوده، ويدخل فيه من يقر بوجوده ويسأل عن مسائل أخرى تتعلق بربوبيته وصفاته.

وعند الرجوع إلى أسباب النزول[٣] الواردة في الآية نجد أنه لم يثبت منها شيء، كذلك لم يرد في هذه الأسباب الضعيفة ما يتعلق بالسؤال عن وجود الله أو أنهم كانوا يشكون في وجوده، بل كلها تدل على الإقرار بوجود الله، لكنها تسأل عن قربه أو بعده، وأين هو، وهل يسمع دعاءهم، وفي أي ساعة يدعون، لكن هذه الروايات كلها ضعيفة، وإذا قلنا بضعفها فتكون الآية عامة في السؤال، فيدخل فيه السؤال عن وجوده والسؤال عن أمور أخرى، قال الشوكاني(ت١١٧٣هـ): ((قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي

(١) القول السديد ص:١٣، وانظر: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة (ص: ٣٠).

(٢) انظر: مدارج السالكين، باب التوحيد (١/ ٣٣ - ٤٦، ٣/ ٤٦٨)، وشرح الطحاوية (ص:٢٥)، وتيسير العزيز الحميد (ص:١٧)، والقول السديد (ص:١٨)، ومعارج القبول (١/ ٩٩)، وتسهيل العقيدة الإسلامية (ص: ٤١).

(٣) انظر في أسباب النزول: زاد المسير في علم التفسير (١/ ١٤٥)، وتفسير الماوردي (١/ ٢٤٢)، وتفسير ابن عطية (١/ ٢٥٥)، وتفسير الرازي (٥/ ٢٦٠).

عَنِّي﴾ يحتمل أن السؤال عن: القرب والبعد، كما يدل عليه قوله: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ ويحتمل أن السؤال عن: إجابة الدعاء، كما يدل على ذلك قوله: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ ويحتمل أن السؤال **عما هو أعم من ذلك، وهذا هو الظاهر مع قطع النظر عن السبب الذي سيأتي بيانه**»[(١)]، لكن يشكل على هذا العموم الذي رجحه الشوكاني(ت١١٧٣هـ) أن الإقرار بوجود الله عند العرب الذين أرسل لهم النبي ﷺ كان أمرًا فطريًا يقرون به قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥]، إلا إذا قلنا إن بعض العرب كان ينكر وجود الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤].

ومن خلال ما سبق يتبيَّن لي أن السؤال في هذه الآية عن وجود الرب أمر محتمل، لكنه ضعيف، والأقوى منه أنه لم يكن سؤالًا عن إثبات وجوده، كما تظاهر به فرعون في قوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:٢٣]، وإنما كان سؤالاً من أناس يقرون بوجوده ويسألون عن مسائل تتعلق بربوبيته وصفاته، وإذا أخذنا بهذه المعاني الواردة في أسباب النزول، وأضفنا لها أن الإقرار بوجود الله وربوبيته أمر فطري لدى الصحابة ولدى اليهود والمشركين من العرب في عهد النبي ﷺ، فإنه يمكن بيان دلالة الآية على إثبات وجود الله تعالى من وجوه عدة:

١- الاكتفاء بدليل الفطرة في الإقرار بوجود الله لدى السائلين، فلا حاجة إلى دليل آخر لإثباته، ولذلك لم يسألوا عن وجود الله تعالى، لأنه مستقر عندهم، وإنما سألوا عن أمور أخرى تتعلق بربوبيته تعالى وصفاته كما سبق ترجيحه.

٢- عدم وقوعهم في نزاع وخلاف يتعلق بوجوده سبحانه حتى يسألوا عن ذلك، مما يدل على اطمئنانهم واعترافهم بوجوده، وأن هذه هي النتيجة الطبيعية الملائمة لفطر بني آدم.

٣- أنهم قصدوا النبي ﷺ ليسألوه، فلو لم يكونوا مقرين مطمئنين بأن له ربًا أرسله ويدافع عنه لما صدقوه وسألوه، فهذا دليل جازم على إقرارهم بوجوده تعالى.

٤- إجابة الله تعالى لرسوله ﷺ عن أسئلتهم دليل على وجوده، فالنبي ﷺ قد عزى الجواب لربه، ولم يقل هذا من تلقاء نفسي، وهم آمنوا وصدقوا بهذا الجواب.

٥- جميع ما ورد في الآية من الإجابة على سؤالهم من أنه قريب، وأنه يدعى من العباد، ويجيب دعوتهم، ووجوب عبادته والإيمان به كل ذلك دليل على وجود رب خالق، وإله يعبد، فإن من ليس بموجود لا يدعى، ومن ليس بموجود لا يعبد، قال ابن عثيمين(ت١٤٢١هـ): ((ونستدل أيضاً إلى معرفة الله تعالى بإجابة الدعاء، فالإنسان يدعو فيستجيب الله دعاءه، فنعرف بهذا وجود الله، وقدرة الله، ورحمة

(١) فتح القدير (١/ ٢١٢)، وانظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (١/ ٣٧١).

الله، وصدق الله عز وجل))[١]، وسوف يأتي تفصيل ذلك في المسألة التالية في بيان أوجه دلالة الآية على ربوبية الله تعالى.

ثانياً: دلالة الآية على إثبات ربوبية الله تعالى: كما سبق في تعريف توحيد الربوبية اصطلاحًا: هو إفراد الله بأفعاله، ومنها الخلق والرزق والإنعام والملك والتصوير، والعطاء والمنع، والنفع والضر، والإحياء والإماتة، والتدبير المحكم، والقضاء والقدر، وغير ذلك من أفعاله التي لا شريك له فيها، فإن هذه الآية كذلك أثبتت من وجوه عدة أن لله تعالى صفات الربوبية التي تفرد بها، ويمكن بيان ذلك بالأمور التالية:

الأمر الأول: الاعتقاد الجازم بأن الله يستجيب من يدعوه دليل على إثبات ربوبيته وعنايته بخلقه، وهذا مقرر لما أطبق عليه جميع الخلق من حصول الدعاء منهم، فإنهم لم يطبقوا على هذا الأمر إلا لاعتقادهم بأنه متكفل بهم ومدبر لهم وإلا لما دعوه وسألوه، وهذا الوجه مأخوذ من الآية من طريقين: الطريقة الأولى: في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ فإنه قد روي: أنها نزلت في سائل سأل النبي ﷺ فقال: يا محمد، أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ﴾ [البقرة:١٨٦] الآية[٢]، الطريقة الثانية: أن الله تعالى أمرهم في الآية بالإيمان أنه يجيب دعوتهم وهذا من الإيمان بالربوبية وذلك في قوله: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ ((كما قال بعضهم: فليستجيبوا لي إذا دعوتهم، وليؤمنوا بي إني أجيب دعوتهم. قالوا: وبهذين السببين تحصل إجابة الدعوة: بكمال الطاعة لألوهيته، **وبصحة الإيمان بربوبيته**... فمن دعاه موقنا أن يجيب دعوة الداعي إذا دعاه أجابه، وقد يكون مشركا وفاسقا، فإنه سبحانه هو القائل: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ﴾ [يونس:١٢]))[٣]، وفي موضع آخر قال ابن تيمية(ت٧٢٨هـ): ((ثم أمرهم بأمرين فقال: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾، فالأول أن يطيعوه فيما أمرهم به من العبادة والاستعانة، والثاني الإيمان بربوبيته وألوهيته، وأنه ربهم وإلههم))[٤]، وقد بيَّن ابن تيمية(ت٧٢٨هـ) أن كفار قريش كانوا مقرين بالربوبية من هذا الوجه فقال في بيان هذا الوجه من الآية:

---

(١) شرح العقيدة السفارينية (١/ ١٥١)، وقريب من كلام الشيخ ابن عثيمين قال به الخازن في تفسيره لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ١١٥)، وأبو حيان في تفسيره البحر المحيط(٢/ ٢٠٨).

(٢) أخرجها الطبري في تفسيره (٣/ ٢٢٢) من روايتين، الأولى عن الصلب بن حكيم، عن أبيه، عن جده وكذلك أخرجها ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٣١٤)، ونص الأثر أن السائل من الأعراب، قال أحمد شاكر محقق تفسير الطبري: وهذا الحديث ضعيف جدا، منهار الإسناد بكل حال، والرواية الثانية عن الحسن البصري: سأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ: أين ربنا؟ فأنزل الله تعالى الاية، وكذلك أخرجها عبد الرزاق في (تفسيره) ١٩٦، قال أحمد شاكر في رواية الحسن: الحديث ضعيف، وأخرجه البغوي في تفسيره (١/ ٢٢٥) عن الضحاك ولكن الحديث ضعيف لأنه مرسل لم يسنده الضحاك عن أحد من الصحابة ، ونص على أن السائل بعض الصحابة.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٣١٤).

(٤) مجموع الفتاوى (٢/ ٣٨٣).

((فأخبر سبحانه أنه قريب من عباده، يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، فهذا إخبار عن ربوبيته لهم، وإعطائه سؤلهم، وإجابة دعائهم؛ فإنهم إذا دعوه فقد آمنوا بربوبيته لهم، وإن كانوا مع ذلك كفاراً من وجه آخر، وفساقاً أو عصاةً، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ [الإسراء:٦٧]))[(١)]، وليس هذا التوجه بالدعاء مقتصرًا على كفار قريش ومن عاصرهم النبي ﷺ بل اتفقت عليه كل الخليقة، قال ابن تيمية(ت٧٢٨هـ): ((قد علم بالقرآن والتواتر والتجارب أن الخلق مازالوا يحتاجون إلى الله، ويضطرون إلى دعائه، إما في إعطائهم ما ينفعهم، كإنزال المطر، وإثبات النبات، وغفران الذنوب، والإعانة على الطاعات؛ وإما في دفع ما يكرهون، مثل دفع الأعداء وتفريج الكربات، وهو يجيب دعاءهم ويعطيهم سؤلهم تحقيقا لقوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:١٨٦]، من غير أن يرفعوا أمرهم إلى واسطة بينهم وبين الله))[(٢)].

الأمر الثاني: إثبات تفرد الله بالملك والقدرة والقهر التي هي من أعظم معاني الربوبية، فهو الذي بيده النفع والضر، والعطاء والمنع، وهو الذي يملك الاستجابة لما يريده العباد عند دعائهم ويقدر على إنفاذ ذلك، إما بإعطاء الثواب لهم على تفسير الدعاء بالعبادة أو بإعطائهم سؤلهم إذا فسر الدعاء بدعاء المسألة، وهذا مأخوذ من قوله تعالى في الآية: ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾، وقد بيَّن الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب(ت١٢٣٣هـ) تمام ملك الله وقدرته في ربوبيته والتي تفرد بها واستحق بها أن يفرد في الدعاء والعبادة فقال: ((أنه لا نفع ولا ضر ولا قبض ولا بسط ولا خفض ولا رفع ولا حركة ولا سكون إلا والله سبحانه هو فاعله وخالقه وقابضه وباسطه ورافعه وحافظه، فلا يدعى ولا يرجى غير الله... وهذا المشهد فيه الكلمات الكونيات وهو علم معرفة صفة الربوبية))[(٣)]، وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب(ت١٢٨٥هـ): ((فإنه المنفرد بالملك والقهر، والعطاء والمنع، والضر والنفع، دون كل ما سواه، فيلزم من ذلك أن يكون هو المدعو وحده، المعبود وحده؛ فإن العبادة لا تصلح إلا لمالك الضر والنفع، ولا يملك ذلك ولا شيئا منه غيره تعالى، فهو المستحق للعبادة وحده، دون من لا يضر ولا ينفع... وقال ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر:٢]، فهذا ما أخبر به الله تعالى في كتابه من تفرده بالإلهية والربوبية، ونصب الأدلة على ذلك))[(٤)].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ٣٨٣).
(٢) جامع المسائل لابن تيمية (٢/ ٩٥).
(٣) التوضيح عن توحيد الخلاق (ص: ٢٩٤).
(٤) فتح المجيد (ص: ١٧٢).

الأمر الثالث: إثبات غنى الله تعالى وفقر العبد في كل حال، فالعبد هو الداعي فهو الفقير المحتاج، والله تعالى هو المستجيب فهو الغني، ولذلك دُعي فأعطى، وهذا من معاني الربوبية، وغنى الله تعالى من صفات الربوبية، التي لا يمكن أن تنفصل عن الرب، ولذلك يستدل بوجودها على صحة الربوبية، وبفقدها على انتفاء الربوبية، كما بيَّن ذلك خليل الله إبراهيم عليه السلام في قوله لأبيه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ [مريم:٤٢]، **ودلالة الآية على غنى الله تعالى مأخوذ من وجوه عدة نذكر بعضا منها: الوجه الأول**: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ﴾ فالذي يحصل منه السؤال جاهل فقير، يحتاج لمن يسد عجزه بالجواب والعطاء، قال ابن تيمية(ت٧٢٨هـ): ((والعبد فقير إلى الله تعالى في كل حال، فهو بفضله ورحمته يلهمه التوبة، فإذا تاب تاب عليه، فإذا سأله العبد ودعاه استجاب دعاءه، كما قال : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦]))[(١)]، **الوجه الثاني**: قوله تعالى: ﴿عِبَادِي﴾ ووصف السائل بأنه عبد دليل على فقره وحاجته، وأن له ربًا يغنيه ويستجيب دعاءه ويسد حاجته، **الوجه الثالث**: قوله: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ فلما سبق ذكر فقر الخلق ووصفهم بالعبودية وسؤالهم أتبع ذلك بوصف نفسه بأنه قريبٌ لهم، ومن قربه قرب الإجابة والعطاء والإغاثة، وكل ذلك يدل على كمال غناه، فمن غناه سرعة الإجابة التي دل عليها لفظة قريب، **الوجه الرابع**: قوله: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ فهو الغني الذي بيده الإجابة لما احتاجه العباد وسألوه، ولم يقيد جوابه بعطاء محدود، لأن خزائن السماوات والأرض بيده، فلا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، **الوجه الخامس**: قوله تعالى: ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ أي ليؤمنوا بي أني أجيب دعوتهم، فهو يندب إلى دعائه، ويحث الخلق عليه، ولا يفعل ذلك إلا الغني، فأما الفقير فهو لا يملك شيئا حتى يدعو الآخرين ليدعوه.

الأمر الرابع: نفي الأعوان عن الله تعالى، فالله تعالى ليس له شريك ولا معاون يحتاج له في تلبية ما يحتاج له العباد، ولذلك أضاف عبودية الخلق له وحده، وكذلك أضاف الإجابة له نفسه، ولم يذكر له معاوناً، وأكد ذلك بأمره لخلقه بوجوب الاستجابة والإيمان به وحده، فلا حاجة لأحد غيره، لأنه ليس معه أحد يعاونه ويشاركه في الخلق والملك والغنى.

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٢٤٠).

المبحث الثاني: دلالة الآية على توحيد الأسماء والصفات، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف اللغوي للأسماء والصفات.

الأسماء: جمع اسم، واختلف في أصل اشتقاقه، فقيل: إنه من السمة؛ بمعنى: العلامة، وقيل: من السمو، وهو المختار(١)، والاسم في اللغة: هو اللفظ الدال على المسمى(٢)، وقيل: هو اللفظ الموضوع لمعنى تعيينًا أو تمييزًا(٣)، وأسماء الله كل ما دل على ذات الله مع صفات الكمال القائمة به، كالعليم والقدير والحكيم والسميع والبصير(٤).

والصفات جمع صفة، والصفة والوصف والنعت بمعنى واحد(٥)، ((وهي الاسم الدال على أحوال الذات... وهي الأمارة اللازمة بذات الموصوف الذي يعرف بها))(٦)، والصفة هي: ما قام بالذات مما يميزها عن غيرها من أمور ذاتية أو معنوية أو فعلية، وصفات الله عز وجل: تكون ذاتية: كاليدين، والوجه، والعينين، وتكون معنوية: كالعلم، والقدرة، والحياة، وتكون فعلية: كالنزول، والاستواء، والخلق، وغيرها، وأسماء الله غير أوصافه، ((فأسماء الله كل ما دل على ذات الله مع صفات الكمال القائمة به، مثل القادر، العليم، الحكيم، السميع، البصير، فإن هذه الأسماء دلت على ذات الله، وعلى ما قام بها من العلم والحكمة والسمع والبصر، أما الصفات فهي نعوت الكمال القائمة بالذات كالعلم والحكمة والسمع والبصر فالاسم دل على أمرين، والصفة دلت على أمر واحد، ويقال الاسم متضمن للصفة، والصفة مستلزمة للاسم))(٧).

المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي للأسماء والصفات.

توحيد الأسماء والصفات عند أهل السنة والجماعة هو: إفراد الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى الواردة في القرآن والسنة، والإيمان بمعانيها وأحكامها(٨)، قال ابن تيمية(ت٧٢٨هـ): ((القول الشامل في جميع هذا الباب: أن يوصف الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث،

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (١٣/ ٧٩)، ولسان العرب (١٤/ ٣٩٧)، والقاموس المحيط (ص: ١٦٧٢).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٦/ ١٨٩،١٩٢)، وبدائع الفوائد (١/ ١٦).

(٣) ينظر: شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص: ٤٦)، والكليات (ص: ٨٣).

(٤) ينظر: فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء (٣/ ١٦٠).

(٥) ينظر: كتاب العين (٢/ ٧٢)، ومعجم مقاييس اللغة (٥/ ٤٤٨)، والقاموس المحيط (ص: ١١١).

(٦) التعريفات (ص: ١٧٥).

(٧) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ١٦٠).

(٨) ينظر: معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات (ص: ٢٩).

قال الإمام أحمد(ت٢٤١هـ) – رحمه الله –: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، لا يتجاوز القرآن والحديث))[١].

وقول أهل السنة والجماعة قائم على ثلاثة أصول[٢]، الأصل الأول: الإيمان بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته إثباتًا ونفيًا، والأصل الثاني: تنزيه الله جل وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين، والأصل الثالث: قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الله بتلك الصفات، قال ابن عبد البر(ت٤٦٣هـ): ((أهل السنة مجموعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية[٣] والمعتزلة[٤] كلها والخوارج[٥] فكلهم ينكرها، ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله، وهم أئمة الجماعة والحمد لله))[٦].

ولتوحيد الأسماء والصفات مكانة عظيمة من الدين: فالعلم بأسماء الله وصفاته أشرف العلوم، قال ابن القيم(ت٧٥١هـ): ((إن العلم بالله وأسمائه وصفاته هو أشرف العلوم على الإطلاق وهو مطلوب لنفسه مراد لذاته))[٧]، وهو الطريق إلى معرفة الله تعالى، قال ابن القيم(ت٧٥١هـ): ((فالإيمان بالصفات ومعرفتها، وإثبات حقائقها، وتعلق القلب بها، وشهوده لها: هو مبدأ الطريق ووسطه وغايته، وهو روح السالكين، وحاديهم إلى الوصول، ومحرك عزماتهم إذا فتروا، ومثير هممهم إذا قصروا))[٨]، وبه تزكية النفوس وإقامتها على منهج الله، وهو من أسباب زيادة الإيمان، قال السعدي: ((ومعرفة الأسماء الحسنى هي أصل الإيمان، والإيمان يرجع إليها... فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته، ازداد إيمانه، وقوي يقينه))[٩].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٦/٥)، وينظر:الفتوى الحموية (ص:٢٠٣)، وبدائع الفوائد (١/ ١٨٣)، ولوامع الأنوار البهية (١٢٤/١ – ١٢٥).

(٢) ينظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ص: ٢٥).

(٣) الجهمية: هم أتباع جهم بن صفوان، تلميذ الجعد بن درهم، ومن ضلالاته: أن العبد مجبور على فعله، ولا قدرة له ولا اختيار، ومن ضلالاته: إنكار الصفات، والقول بفناء الجنة والنار، وأن الإيمان هو المعرفة فقط. انظر: مقالات الإسلاميين (٣٣٨/١)، والفرق بين الفرق ص: ١٩٤، والتبصير في الدين ص: ١٠٧.

(٤) المعتزلة: سموا بذلك لاعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري، وتبعه عمرو بن عبيد، ولقولهم بأن الفاسق لا مؤمن ولا كافر، بل هو في منزلة بينهما، ويجمعهم القول بنفي الصفات عن الله تعالى، والقول بأن القرآن مخلوق، وأن الله لا يرى في الآخرة، وأنه ليس خالقاً لأفعال العباد. انظر: مقالات الإسلاميين (٢٣٥/١)، والفرق بين الفرق (ص: ١١٢).

(٥) الخوارج: سموا بهذا الاسم لخروجهم على أمير المؤمنين علي ﷺ، ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي رضي الله عنهما، كما أجمعوا –عدا النجدات منهم– على تكفير مرتكب الكبيرة، وتخليده في النار إذا مات مصراً عليها، ووجوب الخروج على أئمة الجور. انظر: مقالات الإسلاميين (١٦٧/١)، والفرق بين الفرق (ص: ٧٨).

(٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٤٥).

(٧) مفتاح دار السعادة (١/ ١٧٨)

(٨) مدارج السالكين (٣/ ٣٢٧).

(٩) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص: ٧٢).

وكذلك توحيد الأسماء والصفات سبب لمحبة الله تعالى لعبده، وتعظيمه وتمجيده ودعائه بأسمائه وصفاته، قال ابن تيمية(ت٧٢٨هـ): ((وثبت في الصحيح «أنه بشر الذي كان يقرأها ويقول: إني لأحبها لأنها صفة الرحمن: بأن الله يحبه»[١] فبيَّن أن الله يحب من يحب ذكر صفاته سبحانه وتعالى، وهذا باب واسع))[٢]، ورتب الشارع عليه عظيم الثواب لمن أحصى أسماء الله سبحانه وتعالى بدخول الجنة فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ لله تسعةً وتسعين اسمًا، مائة إلَّا واحدًا، مَن أحصاها دخل الجَنَّةَ»[٣]، وغير ذلك من الفضائل الكثيرة التي يصعب حصرها لبيان مكانة وآثار الإيمان بأسماء الله وصفاته.

المطلب الثالث: دلالة الآية على إثبات توحيد الأسماء والصفات.

دلت نصوص الشرع من الكتاب والسنة الصحيحة على إثبات الأسماء والصفات له تعالى، إلا أن هذه الأدلة تختلف دلالتها على الأسماء والصفات من نص لآخر، وهذا يعرفه من طال طلبه لهذا العلم، وسبر أقوال علماء السلف والمفسرين، وفتح الله على بصيرته بطول التأمل والتدبر، فإنه بذلك يحصل من الدليل الواحد على مسائل كثيرة، قال الحسين السملالي(ت٨٩٩هـ) مبيِّناً أقسام الدلالات: ((ولها ثلاثة أنواع: دلالة المطابقة وهي: فهم السامع من كلام المتكلم كمال المسمى، ودلالة التضمن وهي: فهم السامع من كلام المتكلم جزء المسمى، ودلالة الالتزام وهي: فهم السامع من كلام المتكلم لازم المسمى البين، وهو: اللازم في الذهن[٤]))[٥]، ومثال ذلك الأدلة المثبتة لاسم (الرحمن)، فهو يدل على الذات وعلى صفة الرحمن بالمطابقة، ويدل على الذات وحدها وعلى صفة الرحمة وحدها بالتضمن، ويدل على الحياة والعلم والقدرة التزاماً، لأنه لا توجد رحمة بدون حياة الراحم وعلمه وقدرته[٦].

ومن تلك الأدلة في هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦]، فإنها قد دلت على كثير من الصفات الثابتة لله تعالى بنوع من أنواع الدلالة، وسوف نعرض لبعض منها:

الصفة الأولى: دلالة الآية على إثبات صفة المعبودية والألوهية:

أولاً: بيان معتقد أهل السنة والجماعة في إثبات صفة المعبودية والألوهية لله تعالى:

---

(١) أخرجه البخاري ح٧٣٧٥، ومسلم ح٨١٣.

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٣١٢).

(٣) أخرجه البخاري ح٧٣٩٢، ومسلم ح٢٦٧٧.

(٤) مثل: دلالة الأربعة على الزوجية لأن معنى الزوجية في الاصطلاح هي الانقسام إلى متساويين.

(٥) رفع النقاب عن تنقيح الشهاب (١/ ٢١٣)، وينظر: المستصفى ص٢٥، والمحصول (١/ ٢١٩).

(٦) ينظر: المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص: ١٠٨).

هذه الصفة مأخوذة تضمناً من لفظة: ﴿عِبَادِي﴾، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ [البقرة:١٨٦]، فإن الله تعالى أضاف العبودية له تعالى، فدل على وجود عابد ومعبود، والمعبود هو الذي اتصف بصفات جعلت العابد يتخذه معبودا إلهًا، وهي صفات الإلهية والألوهية، فالمعبود والإله بمعنى واحد، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما -في تفسير لفظ الجلالة (الله)- ((الله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين))[١]، فقد ساوى رضي الله عنه بين كلمة (الألوهية) وبين كلمة (المعبودية)[٢]، وهو الوصف المتعلق بالله من هذا الاسم، فهو سبحانه المألوه المعبود المرجو المطاع، الذي لا يستحق العبادة أحدٌ سواه، والعابد وصفه العبودية؛ إذ إنَّ عباد الله هم الذين يعبدونه ويألهونه ويقومون بطاعته وحده لا شريك له.

ثانياً: بيان دلالة الآية على إثبات صفة المعبودية والألوهية، وسوف أبين دلالة هذه الصفة من الوجوه التالية: **الوجه الأول: المعنى اللغوي لكلمة (الإله) و(الألوهية)**: لو رجعنا للمعنى اللغوي لكلمة (الإله) لوجدنا علماء اللغة يعرفونها بمعنى: المعبود: فالألوهية هي مصدر أله يأله، بمعنى المعبود الذي يستحق العبادة، قال إبراهيم الزجاج(ت٣١١هـ): ((ومعنى قولنا إلاه إنما هو الذي يستحق العبادة وهو تعالى المستحق لها دون من سواه))[٣]، وقال إسماعيل الجوهري(ت ٣٩٣هـ): ((أله -بالفتح- إلاهة، أي عبد عبادة، ومنه قرأ ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ويذرك وإلهتك﴾ [الأعراف: ١٢٧] بكسر الهمزة، قال: وعبادتك، وكان يقول: إن فرعون كان يعبد في الأرض[٤]، ومنه قولنا: (الله) وأصله: (إله) على فعال بمعنى مفعول، أي معبود، كقولنا: إمام فعال، لأنه مفعول أي مؤتم به))[٥]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية(ت٧٢٨هـ): ((فإن (الإله) هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد، وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخضوع له غاية الخضوع؛ والعبادة تتضمن غاية الحب بغاية الذل))[٦].

ولذلك فسرت كلمة (لا إله إلا الله) أي: لا معبود بحق إلاَّ الله، فالإله هو المألوه، أي المعبود، يقال: أَلَه يَأْلَه إلاهة وألوهية، أي عَبَدَ يعْبُدُ عبادة وعبودية، قال ابن القيم(ت٧٥١هـ): ((حقيقة شهادة أن

(١) تفسير الطبري (١/ ١٢١).
(٢) انظر أيضا: تفسير الرازي (٢٠/ ١٩٣)، وروح البيان (١/ ٤٤٦)، واللباب في علوم الكتاب (١٢/ ٣٦).
(٣) تفسير أسماء الله الحسنى (ص: ٢٦).
(٤) ينظر: تفسير الطبري (١/ ١٢٢)، وقد ناقش ابن جرير مسألة: هل الألوهية هي العبادة؟ فقال: ((فإن قال: وما دل على أن الألوهية هي العبادة، وأن الإله هو المعبود))، ثم أخذ يجاوب عن ذلك بما يدل على ترادف المعنيين. ينظر: تفسير الطبري (١/ ١٢١-١٢٣).
(٥) الصحاح (٦/ ٢٢٢٣) مادة (أله)، وانظر: اشتقاق أسماء الله الحسنى ص:٢٤، لسان العرب (١٣/ ٤٦٧).
(٦) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٤٩)، وينظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٠٢، ٢٠٥).

لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي يألهه العباد حباً وذلاً وخوفاً ورجاءً وتعظيماً وطاعةً له مألوه، وهو الذي تألهه القلوب أي تحبه وتذل له، وأصل التأله التعبد، والتعبد آخر مراتب الحب، يقال عبده الحب وتيمه إذا ملكه وذلله لمحبوبه، فالمحبة حقيقة العبودية))[١].

الوجه الثاني: الألوهية صفة لله تعالى: (الإله) اسم لله تعالى، ولفظ الجلالة (الله) مشتق منه، قال الشيخ محمد خليل هراس(ت١٣٩٥هـ): ((اسم الجلالة؛ الصحيح أنه مشتق... من أله يأله ألوهة وإلهة وألوهية؛ بمعنى: عبد عبادة... فهو إله؛ بمعنى مألوه؛ أي: معبود وعلى القول بالاشتقاق يكون وصفًا في الأصل، ولكن غلبت عليه العلمية))[٢]، ومنه أيضاً اشتقت صفة الألوهية، وهي من مجموع كلام أهل اللغة: فزع القلب إلى الله، وسكونه إليه، واتجاهه إليه لشدة محبته له، وافتقاره إليه ويجمعهما كون الله هو الغاية والمراد والمقصود مطلقًا، قال ابن الأثير(ت٦٠٦هـ): ((أصله من أله يأله إذا تحير، يريد إذا وقع العبد في عظمة الله تعالى وجلاله وغير ذلك من صفات الربوبيه وصرف وهمه اليها أبغض الناس حتى لايميل قلبه إلى أحد))[٣].

وعلى هذا فإن الألوهية صفة لله تعالى تعني استحقاقه جل وعلا للعبادة بما له من الأسماء والصفات والمحامد العظيمة[٤] ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما ((والله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين))[٥]، ويوضح ابن تيمية(ت٧٢٨هـ) معنى (الإله) فيقول: ((والإله: هو المألوه أي: المستحق لأن يؤله؛ أي يعبد، ولا يستحق أن يؤله ويعبد إلا الله وحده، وكل معبود سواه من لدن عرشه إلى قرار أرضه باطل))[٦]، وقال ابن القيم(ت٧٥١هـ): ((اسم الله دال على كونه مألوهًا معبودًا، تؤلهه الخلائق محبة وتعظيمًا وخضوعًا، وفزعًا إليه في الحوائج والنوائب))[٧]، وقال أيضاً: ((فإن الإله هو الذي يألهه العباد ذلًا، وخوفًا ورجاءً، وتعظيماً وطاعةً له. بمعنى مألوه. وهو الذي تألهه القلوب. أي تحبه وتذل له، وأصل التأله التعبد. والتعبد آخر مراتب الحب))[٨].

الوجه الثالث: تفسير توحيد الألوهية بتوحيد العبادة: مما يدل على اتحاد معنى الألوهية والمعبودية، والإله والمعبود، هو تفسير العلماء لتوحيد الألوهية بأنه توحيد العبادة، قال الشيخ السعدي(ت١٣٧٦هـ) في تعريف توحيد الألوهية: ((توحيد الإلهية ويقال له: توحيد العبادة، وهو العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين

---

(١) مدارج السالكين (٣/٢٦).

(٢) شرح العقيدة الواسطية لمحمد بن خليل هراس (ص:٤٥).

(٣) النهاية في غريب الأثر (١/ ٦٢).

(٤) انظر: فتح الرحيم الملك العلام ص ٢٠، وشرح الواسطية لابن عثيمين (ص: ١١).

(٥) رواه الطبري (١/ ١٢٣).

(٦) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٠٢، ٢٠٥).

(٧) مدارج السالكين (١/ ٥٦).

(٨) مدارج السالكين (٣/ ٢٧).

لله وحده، وهذا الأخير يستلزم القسمين الأولين ويتضمنهما؛ لأن الألوهية التي هي صفة تعم أوصاف الكمال وجميع أوصاف الربوبية والعظمة، فإنه المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال، ولما أسداه إلى خلقه من الفواضل والأفضال، فتوحده تعالى بصفات الكمال وتفرده بالربوبية يلزم منه أن لا يستحق العبادة أحد سواه))[١].

الصفة الثانية: دلالة الآية على إثبات صفة قرب الله تعالى.

أولاً: بيان معتقد أهل السنة والجماعة في إثبات صفة القرب لله تعالى:

التقرب أو القرب من صفات الله الفعلية الاختيارية، ثابتة له بالكتاب والسنة، و (القريب) اسم من أسمائه تعالى، وقد دل القرآن والسنة على صفة القرب، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[البقرة:١٨٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيب﴾ [هود:٦١]، ومن السنة: حديث أبي هريرة ﷺ قال قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: وإن تقرب إليَّ بشبر تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا»[٢]، وحديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال النبي ﷺ: «أيها الناس! اربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، ولكن تدعون سميعاً قريباً، إنَّ الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»[٣]، ومن الأدلة على القرب الاستدلال بصفة النزول لله تعالى، قال ابن رجب الحنبلي(ت٧٩٥هـ): ((وهكذا القول في أحاديث النزول إلى سماء الدنيا، فإنه من نوع قرب الرب من داعيه وسائليه ومستغفريه، وقد سئل عنه حماد بن زيد(ت١٧٩هـ)، فقال هو في مكانه يقرب من خلقه كما يشاء، ومراده أن نزوله ليس هو انتقال من مكان إلى مكان كنزول المخلوقين))[٤].

وأهل السنة والجماعة من السلف وأهل الحديث يعتقدون أن الله عز وجل قريب من عباده كما يليق بجلاله وعظمته، وهو مستو على عرشه بائن من خلقه، وأنه يتقرب إليهم ويدنو منهم ، ((وما ذكر في الكتاب والسنة، من قربه ومعيته، لا ينافي ما نذكر من علوه وفوقيته؛ فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته، وهو علي في دنوه، قريب في علوه))[٥]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية(ت٧٢٨هـ): ((فلأن قربه من عباده وتقريبه لهم عند سلف الأمة وأئمتها وعامة المشايخ الأجلاء ليس مجرد الإنعام والكرامة،

(١) القول السديد (ص:١٩).

(٢) أخرجه البخاري ٧٤٠٥، ومسلم ٢٦٧٥

(٣) أخرجه مسلم ٢٧٠٤.

(٤) تفسير ابن رجب الحنبلي (١/ ١٤١).

(٥) العقيدة الواسطية (ص:٨٥).

بل يقرب من خلقه كيف شاء ويقرب إليه منهم من يشاء))[١]، وقال ابن القيم(ت٧٥١هـ): ((هو قريب من المحسنين بذاته[٢] ورحمته قربا ليس له نظير، وهو مع ذلك فوق سماواته على عرشه))[٣].

وبعد أن قرر ابن القيم(ت٧٥١هـ) صفة القرب حقيقة لله تعالى مع إثبات علوه فوق عرشه بيَّن أن ذلك غير مستحيل على الله تعالى: فقال: ((والذي يسهل عليك فهم هذا: معرفة عظمة الرب وإحاطته بخلقه وأن السماوات السبع في يده كخردلة في يد العبد، وأنه سبحانه يقبض السماوات بيده والأرض بيده الأخرى ثم يهزهن، فكيف يستحيل في حق من هذا بعض عظمته أن يكون فوق عرشه ويقرب من خلقه كيف شاء وهو على العرش))[٤].

وينبغي التنبيه بأن صفة القرب لله تعالى من عباده ليست كصفة القرب عند المخلوقين، فهي لا تعني المخالطة والحلول[٥] ولا تعني ترك العلو لله تعالى[٦]، فهو سبحانه قريبٌ في علوه، عال في قربه، وهذا حق لا يناقض أحدهما الآخر، وما سبق من تقرير ابن تيمية(ت٧٢٨هـ) وتلميذه لصفة القرب وأنها قرب حقيقي لا يفهم منه أن قرب الله معناه الحلول بذاته في خلقه، وسوف أذكر من كلامهما ما ينفي

---

(١) الاستقامة (١/ ١٣٨)، وقد أطال الكلام ابن تيمية على هذه المسألة بما لا مزيد عليه، وانظر لابن تيمية المواضع التالية مجموع الفتاوى (٥/٢٣٢-٢٣٧، ٢٤٠-٢٤١، ٢٤٧-٢٤٨، ٤٥٩-٤٦٧، ٤٩٤-٥١٤) ، (٦/٥، ٨، ١٢-١٤، ١٩-٢٥، ٣٠-٣٢، ٧٦) ، وشرح حديث النزول (ص: ١٠٣، ١٣٧)، و(القواعد المثلى) للشيخ ابن عثيمين (المثال الحادي عشر والثاني عشر) وصفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة لعلوي السقاف (ص:١٠٤).

(٢) ابن القيم هنا نص على أن الله تعالى قريب من المحسنين بذاته ورحمته، وقاله أخذاً بظاهر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾، فهذه الضمائر (عبادي) (عني) (فإني) (قريب) (أجيب) (دعان) (لي) (بي) كلها تعود إلى الله تعالى، فكما أنه نفسه المعبود المسئول عنه، المجيب لدعوة الداعي، الواجب الإيمان به، فهو القريب كذلك، ولا يلزم من ذلك الحلول، لأن الله تعالى ليس كمثله شيء في جميع صفاته، فهو قريب في علوه، وقد سبقه إلى مثل ذلك شيخه ابن تيمية في كتابه شرح حديث النزول (ص:١٣٧)، ولما سئل ابن عثيمين عن قول ابن القيم: (فهو قريب من المحسنين بذاته ورحمته) هل هو صحيح؟ وهل سبقه أحد في ذلك؟ فقال: لا أعلم أحداً صرح بذلك، لكن الذي يظهر أن الكلام فيها كغيرها من الصفات، تفهم على حقيقتها مع تنزيه الله تعالى عما لا يليق به، كما يفهم الاستواء والنزول وغيرهما، ولهذا لم يتكلم الصحابة فيما أعلم بلفظ الذات في الاستواء والنزول، أي لم يقولوا استوى على العرش بذاته، أو ينزل إلى السماء الدنيا بذاته، لأن ذلك مفهوم من اللفظ، فإن الفعل أضيف إلى الله تعالى إما إلى الاسم الظاهر أو الضمير، فإذا أضيف إليه كان الأصل أن يراد به ذات الله – عز وجل –، لكن لما حدث تحريف معنى الاستواء والنزول احتاجوا إلى توكيد الحقيقة بذكر الذات، وكذلك لما حدث القول بالحلول وشبَّه القائلون به بآيات المعية بيَّن السلف بطلان تلبيسهم، وأنه لا يراد بها أنه معهم بذاته مختلطاً بهم، كما فهم أولئك الحلولية، وأن المراد بها بيان إحاطته بالخلق علماً، وذكروا العلم لأنه أهم الصفات متعلقاً، ولأنها جاءت في سياقه. انظر: المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص:٢٦٧- ٢٦٨).

(٣) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص: ٤٨٢).

(٤) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص: ٤٨٣)

(٥) هو القول بأن الله عزّ وجل يحل بذاته في أجسام المخلوقات، وقد يكون الحلول جزئياً أو كلياً، وهو مذهب قديم موجود في معظم الديانات السابقة، وقال به بعض الشيعة والصوفية ممن ينتسب إلى الإسلام، انظر: التنبيه والرد للملطي (ص:٣٤)، مقالات الإسلاميين للأشعري (١/٨١ – ٨٢).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٣٢).

عنهما نسبة هذه العقيدة لهما، قال ابن تيمية: ((وهو سبحانه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته))(١)، وقال ابن القيم(ت٧٥١هـ) معلقًا على قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[البقرة:١٨٦]: ((فهذا قربٌ خاص بالداعي دعاء العبادة والثناء والحمد، وهذا القرب لا ينافي كمال مباينة الرب لخلقه، واستواءه على عرشه، بل يجامعه ويلازمه، فإنه ليس كقرب الأجسام بعضها من بعض. تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، ولكنه نوع آخر، والعبد في الشاهد يجد روحه قريبة جدًا من محبوب بينه وبينه مفاوز تتقطع فيها أعناق المطي، ويجده أقرب إليه من جليسه))(٢)، وقد أحسن ابن رجب الحنبلي(ت٧٩٥هـ) بعدهما في إبطال هذه العقيدة الفاسدة فقال: ((وليس هذا القرب كقرب الخلق المعهود منهم، كما ظنه من ظنه من أهل الضلال، وإنما هو قرب ليس يشبه قرب المخلوقين ، كما أن الموصوف به ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]))(٣).

وقد لخص ابن تيمية(ت٧٢٨هـ) أقوال الفرق في العلو والقرب بعبارةٍ مختصرةٍ فقال: ((قد وصف الله نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بالعلو والاستواء على العرش والفوقية في كتابه في آيات كثيرة، وقد افترق الناس في هذا المقام أربع فرق: فالجهمية النفاة الذين يقولون: ليس داخل العالم ولا خارج العالم ولا فوق ولا تحت لا يقولون بعلوه ولا بفوقيته، وقسم ثان يقولون: إنه بذاته في كل مكان كما يقوله النجارية وكثير من الجهمية عبادهم وصوفيتهم وعوامهم، والقسم الثالث من يقول: أنه فوق العرش وهو في كل مكان، وأما القسم الرابع فهم سلف الأمة وأئمتها، أئمة العلم والدين، من شيوخ العلم والعبادة، فانهم أثبتوا أن الله تعالى فوق سمواته، وأنه على عرشه بائن من خلقه، وهم منه بائنون، وهو أيضا مع العباد عموما بعلمه، ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد والكفاية، **وهو أيضا قريب مجيب**))(٤).

ثانياً: بيان دلالة الآية على إثبات صفة القرب لله تعالى:

دلت الآية على إثبات صفة القرب لله تعالى من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[البقرة:١٨٦]، فالله تعالى أجاب عن سؤالهم بقوله: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ ولم يقل: (فقل لهم إني قريب)، لأنه قريب من عباده(٥)، وهذا نص من الله تعالى في إضافة صفة القرب لنفسه، فهو قرب يليق بجلاله وعظمته، والقرب المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١/ ٣٣٥).
(٢) مدارج السالكين (٢/ ٢٥٥)، وانظر: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص: ٤٨٣).
(٣) تفسير ابن رجب الحنبلي (١/ ١٤١).
(٤) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٣/ ١٠٠).
(٥) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١/ ٣٣٤)، وتفسير الشعراوي (٢/ ٧٨١).

دَعَانِ﴾ هو أحد نوعي القرب المذكور في القرآن والسنة، فإن قرب الرب إنما يكون لعابديه وداعيه فهو مقيد مخصوص؛ لا مطلق عام لجميع الخلق، وهو نوعان: قربه من داعيه بالإجابة، وهو المذكور في الآية السابقة، ولهذا نزلت جوابا للصحابة رضي الله عنهم، وقد سألوا رسول الله ﷺ: ربنا قريب فنناجيه؟ أم بعيد فنناديه؟، والنوع الثاني: قربه من عابده بالإثابة، كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ، قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»(١)، فهذا قربه من أهل طاعته(٢).

قال ابن القيم(ت٧٥١هـ) في نونيته:

وهو القريب وقربه المختص بالداعي وعابده على الإيمان(٣)

وأما مناسبة ذكر صفة قرب الله مع قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي﴾، فقد بيَّنت الآية أن الله تعالى قريبٌ ممن دعاه، يتقرب ممن عبده وأطاعه، فالعبد إذا قرب إلى الله تعالى بالتوجه والمحبة، وإخلاص العمل، والصدق في ذلك، فإن الله تعالى يقرب إليه أكثر من قربه، فكلما زاد قرب العبد إلى ربه بالطاعة والإنابة والحب والإخلاص، زاد قرب الله إليه، حتى يكون قلب العبد بين يدي ربه، كأنه يشاهده بعينيه، وهو جل وعلا على عرشه(٤).

وقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية(ت٧٢٨هـ) أن أدلة إخفاء الدعاء دليل على قرب الله، ولذلك قال: ((من النكت البديعة جدا أنه دال على قرب صاحبه للقريب، لا مسألة نداء البعيد للبعيد؛ ولهذا أثنى الله على عبده زكريا بقوله ﷻ: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيًّا﴾ [مريم:٣]، فلما استحضر القلب قرب الله ﷻ وأنه أقرب إليه من كل قريب أخفى دعاءه ما أمكنه، وقد أشار النبي ﷺ إلى المعنى بعينه بقوله في الحديث الصحيح: لما رفع الصحابة أصواتهم بالتكبير وهم معه في السفر فقال: «أيها الناس! اربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، ولكن تدعون سميعاً قريباً، إنَّ الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»(٥)، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة:١٨٦]، وهذا القرب من الداعي هو قرب خاص ليس قربا عاماً من كل أحد، فهو قريب من داعيه وقريب من عابديه، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد))(٦).

---

(١) أخرجه مسلم ح٤٨٢.

(٢) إلى القول بأن القرب إنما يكون خاصاً للعابد والداعي ذهب ابن تيمية وابن القيم انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٢٤٧)، ومدارج السالكين (٢/ ٢٥٤-٢٥٥)، وذهب البعض إلى أن قرب الله يكون خاصا وعاماً، انظر فتح الباري لابن رجب (٣/ ١١٦)، وكذلك في تفسيره (١/ ١٤٠)، وكذلك قال ابن سعدي في تفسير (ص: ٣٨٤).

(٣) متن القصيدة النونية (ص:٢٠٨).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٥/٥١٠)، (٣٥/ ٣٧١) وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/ ٢١٧)

(٥) أخرجه مسلم ٢٧٠٤.

(٦) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٦-١٧).

قلت: فسؤال العباد هنا عن الله تعالى معناه أنهم يطلبون دعائه، ولذلك ناسب أن يذكر الله تعالى قربه، فهو قريب من داعيه وليس ببعيد، وقد أيدت النصوص الأخرى هذا المعنى: قال تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾[العلق:١٩]، وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ، قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»(١)، وعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنما يناجي ربه أو ربه بينه وبين قبلته»(٢)، وعلق ابن رجب(ت٧٩٥هـ) على هذا الحديث فقال: ((يدل على قرب الله تعالى من المصلي في حال صلاته... وكأن مقصود النبي ﷺ بذكر هذا: أن يستشعر المصلي في صلاته قرب الله منه، وأنه بمرأى منه ومسمع، وانه مناج له وانه يسمع كلامه ويرد عليه جواب مناجاته له))(٣).

الصفة الثالثة: دلالة الآية على إثبات صفة إجابة الله تعالى.

أولاً: بيان معتقد أهل السنة والجماعة في إثبات صفة إجابة الله تعالى:

الإجابة: صفة فعلية ثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة، والمجيب اسم من أسمائه تعالى، ومعنى صفة الإجابة يختلف بحسب معنى الدعاء، فإن الدعاء في قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، وقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر:٦٠] يشمل نوعين: الأول: دعاء العبادة، وهي طاعة العبد، والاستجابة عليها من الله هي: قبولها والإثابة عليها، والنوع الثاني من الدعاء هو: دعاء المسألة، فإذا سأل العبد ربه حاجته فإن الله يعطيه مسألته ويحقق رغبته، وإجابة دعاء العبادة لا تكون إلا للمسلمين فإنه لا يثيب إلا المسلمين، فلو دعاه كافرٌ دعاء عبادة بمعنى تقرب لله بطاعة فإن الله تعالى لا يستجيب له بمعنى لا يثيبه على طاعته، و أما دعاء المسألة فهو أن يقول العبد: اللهم اعطني كذا أو ادفع عني كذا، فهذا يقع من الناس كلهم برهم وفاجرهم، والله يستجيب فيه لمن يشاء لمن يدعوه بحسب ما تقتضيه حكمته لا تختص الإجابة فيه بأهل الإخلاص والتقوى، فإن إحسانه تعالى عامٌ يشمل المسلم والكافر، ورحمته وسعت كل شي ء، ولهذا كانت الإجابة لمثل هذا الدعاء لا تدل على حسن حال الداعي الذي أجيبت دعوته إن لم يقترن بذلك ما يدل على صدقه وتعين الحق معه، وذلك كسؤال الأنبياء ودعائهم لقومهم أو على قومهم، فيجيبهم الله، فتدل إجابته لهم على صدقهم فيما أخبروا به وكرامتهم على ربهم(٤).

---

(١) أخرجه مسلم ح٤٨٢.

(٢) أخرجه البخاري ح ٤١٧، ومسلم ح٥٥١.

(٣) فتح الباري لابن رجب (٣/ ١٠٩-١١٠).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ٣٠٨)، وشرح الكافية الشافية للقصيدة النونية (٢/ ٩٤)، وتفسير أسماء الله الحسنى (ص: ٢٣٥).

الأدلة على إثبات صفة الإجابة: قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة:١٨٦]، وقوله: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾[آل عمران:١٩٥]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[هود:٦١]، والأدلة من السنة كثيرة، ومنها: حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له»(١)، وحديث أبي هريرة ﷺ أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه»(٢).

وقد أثبت أهل السنة والجماعة هذه الصفة والاسم: قال أبو القاسم الأصبهاني(ت٥٣٥هـ): ((ومن أسمائه تعالى: المجيب، يجيب المضطر إذا دعاه، ويغيث الملهوف إذا ناداه))(٣)، وقال ابن القيم(ت٧٥١هـ):

وهو المجيب يقول من يدعو أجبـ ـه أنا المجيب لكل من ناداني.

وهو المجيب لدعوة المضطر إذ يدعوه في سر وفي إعلان(٤).

وقال الشيخ السعدي(ت١٣٧٦هـ): ((ومن آثاره: الإجابة للداعين، والإنابة للعابدين؛ فهو المجيب إجابة عامة للداعين مهما كانوا، وعلى أي حال كانوا؛ كما وعدهم بهذا الوعد المطلق، وهو المجيب إجابة خاصة للمستجيبين له، المنقادين لشرعه، وهو المجيب أيضا للمضطرين ومن انقطع رجاؤهم من المخلوقين وقوي تعلقهم به طمعا ورجاء وخوفا))(٥).

ثانياً: بيان دلالة الآية على إثبات صفة الإجابة لله تعالى:

دلت الآية على إثبات صفة الإجابة لله تعالى من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة:١٨٦]، وهذه الآية نص صريح في إثبات صفة الإجابة لله تعالى، والأدلة من القرآن والسنة المؤيدة لهذه الآية كثيرة جداً، ومن ذلك إجابته سبحانه لدعاء أنبيائه ورسله وأوليائه، حيث قال تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾[الأنبياء:٧٦]، وقال: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾[الأنبياء:٨٣-٨٤] وغيرها كثير.

وفي سياق هذه الآية مسائل كثيرة تتعلق بصفة الإجابة لله تعالى، ومن ذلك:

---

(١) أخرجه البخاري ح١١٤٥، ومسلم ح٧٥٨.

(٢) أخرجه الترمذي ح٣٤٧٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح٢٤٥.

(٣) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٧٤).

(٤) متن القصيدة النونية لابن القيم (ص:٢٠٨).

(٥) تفسير السعدي ص ٩٤٩، انظر: تفسير أسماء الله الحسنى (ص: ٥١)، وصفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة (ص: ٤٩).

المسألة الأولى: وعدُ الله تعالى بإجابة الداعي لا يتخلف إذا اجتمعت شروط إجابة الدعاء وانتفت موانعه، وشاء الله ذلك، وهذه المسألة من المسائل الكبار التي استوفاها العلماء بحثاً وتفصيلاً[١]: قال الطبري(ت٣١٠هـ): ((فإن قال لنا قائل: وما معنى هذا القول من الله تعالى ذكره؟ فأنت ترى كثيرًا من البشر يدعون الله فلا يجاب لهم دعاء، وقد قال: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾؟، قيل: إن لذلك وجهين من المعنى: أحدهما: أن يكون معنياً (بالدعوة)، العمل بما ندب الله إليه وأمر به، فيكون تأويل الكلام: وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ممن أطاعني وعمل بما أمرته به، أجيبه بالثواب على طاعته إياي إذا أطاعني، فيكون معنى (الدعاء): مسألة العبد ربه وما وعد أولياءه على طاعتهم بعملهم بطاعته، ومعنى (الإجابة) من الله التي ضمنها له: الوفاء له بما وعد العاملين له بما أمرهم به... والوجه الآخر: أن يكون معناه: أجيب دعوة الداع إذا دعان إن شئت، فيكون ذلك، وإن كان عاما مخرجه في التلاوة، خاصا معناه))[٢].

وقد عقد ابن الجوزي(ت٥٩٧هـ) فصلاً في كتابه صيد الخاطر (امتناع إجابة الدعاء) وذكر ستة أسباب تمنع إجابة الله لمن دعاه، وملخصها: الأول: أن هذا من البلاء الذي يحتاج إلى الصبر، والله ﷻ مالك، وللمالك التصرف بالمنع والعطاء، والثاني: أنه قد ثبتت حكمته بالأدلة القاطعة، فربما رأيت الشيء مصلحة، والحكمة لا تقتضيه، والثالث: أنه قد يكون التأخير مصلحة، والاستعجال مضرة، والرابع: أنه قد يكون امتناع الإجابة لآفة فيك، فربما يكون في مأكولك شبهة، أو قلبك وقت الدعاء في غفلة، والخامس: أنه ينبغي أن يقع البحث عن مقصودك بهذا المطلوب، فربما كان في حصوله زيادة إثم، أو تأخير عن مرتبة خير، فكان المنع أصلح، والسادس: أنه ربما كان فقد ما فقدته سببًا للوقوف على الباب واللجأ، وحصوله سببًا للاشتغال عن المسؤول[٣].

المسألة الثانية: أن الله تعالى يوجب على نفسه ويحق عليها ما يشاء لخلقه كرماً منه وتفضلاً، لا لعلة ملزمة من أفعال خلقه[٤]، ومن ذلك أن إجابة الله دعاء سائله ليست واجبة عليه بسبب علة الدعاء، بل الله أوجبها على نفسه كرماً وتفضلاً، فهو الذي تفضل بكرمه على عبده فألهمه الدعاء، لا لحاجة إليهم، قال ابن تيمية(ت٧٢٨هـ): ((ولهذا كان من قال من أهل السنة بالوجوب، قال: إنه كتب على نفسه، وحرم على نفسه، لا أن العبد نفسه يستحق على الله شيئًا، كما يكون للمخلوق على

(١) انظر: تفسير السمعاني (١/ ١٨٥)، وتفسير البغوي (١/ ٢٢٧)، وتفسير ابن عطية (١/ ٢٥٥)، وتفسير القرطبي (٢/ ٣٠٩)، وتفسير الخازن (١/ ١١٥)، وتفسير أبي حيان الأندلسي (٢/ ٢٠٧)، وتفسير الماوردي (١/ ٢٤٣)، وتفسير الشوكاني (١/ ٢١٣)، وتفسير السعدي (ص: ٨٧)، وتفسير الشنقيطي (١/ ٧٤).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٢٢٧).

(٣) انظر: صيد الخاطر (ص: ٨٢-٨٣).

(٤) بيَّن ابن تيمية القول الفصل في مسألة هل على الله حق؟ في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٣٠٩).

المخلوق؛ فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير فهو الخالق لهم وهو المرسل إليهم الرسل، وهو الميسر لهم الإيمان، والعمل الصالح))[١].

فأهل السنة يقولون: لما قام العبد بالدعاء تكرم الله فأوجب على نفسه الإجابة، وإجابته مرهونة بمشيئته، ومرهونة أيضاً بتوفر شروط الإجابة وانتفاء موانعها[٢]، فإن تحققت حصلت الإجابة التي لا تنحصر في المسؤول بل هي أعم، وفي هذا الباب يورد العلماء الحديث الضعيف، وهو حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ : «من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وأسألك بحق ممشاي هذا... فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي... »[٣]، قال ابن تيمية(ت٧٢٨هـ) عن هذا الحديث: ((معناه: أن حق السائلين على الله أن يجيبهم، وحق العابدين له أن يثيبهم، وهو كتب ذلك على نفسه، كما قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة:١٨٦]، فهذا سؤال الله بما أوجبه على نفسه كقول القائلين ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾[آل عمران:١٩٤]))[٤]، ورد ابن القيم(ت٧٥١هـ) على من ظن أن بنفس الدعاء والطلب ينال المطلوب، وأنه موجب لحصوله، حتى كأنه سبب مستقل، فقال: ((لا موجب إلا مشيئة الله تعالى، وليس هاهنا سبب مستقل غيرها، فهو الذي جعل السبب سببًا، وهو الذي رتب على السبب حصول المسبب، ولو شاء لأوجده بغير ذلك السبب، وإذا شاء منع سببية السبب، وقطع عنه اقتضاء أثره، وإذا شاء أقام له مانعًا يمنعه عن اقتضاء أثره، مع بقاء قوته فيه، وإذا شاء رتب عليه ضد مقتضاه وموجبه، فالأسباب طوع مشيئته سبحانه وقدرته، وتحت تصرفه وتدبيره، يقلبها كيف شاء))[٥].

المسألة الثالثة: دلت الآية على أن إجابة الله تعالى عامة، وليست خاصة بمن سأل النبي ﷺ، فقد خرج الحكم في الآية ((في صورة الحكم الكلي إذ جاء بحكم عام في سياق الشرط، فقال: سألك عبادي، وقال: أجيب دعوة الداع، ولو قيل: وليدعوني فأستجيب لهم، لكان حكماً جزئياً خاصاً بهم))[٦].

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٣١١).

(٢) انظر: تفسير العز بن عبد السلام (١/ ١٩١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ح: ١١١٥٦، (١٧/ ٢٤٧)، وابن ماجه في سننه ح:٧٧٨، (١/ ٢٥٦)، وضعفه الألباني وغيره في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ح: ٢٤، (١/ ٨٢).

(٤) مجموع الفتاوى (١/ ٣٦٩)، وانظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١/ ٢٣٤).

(٥) مدارج السالكين (٣/ ١٠٤).

(٦) التحرير والتنوير (٢/ ١٧٨)، وفي تفسير البحر المحيط: (٢/ ٢٠٦): ((وظاهر قوله: أجيب دعوة الداع عموم الدعوات، إذ لا يريد دعوة واحدة، والهاء في: دعوة، هنا ليست للمرة، وإنما المصدر هنا بني على فعلة نحو. رحمة، والظاهر عموم الداعي لأنه لا يدل على داع مخصوص، لأن الألف واللام فيه ليست للعهد، وإنما هي للعموم)).

المسألة الرابعة: في قوله ﴿دَعَانِ﴾ بعد قوله: ﴿دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ تنبيه إلى أن الدعاء الذي يستجيبه الله هو الذي يكون بنية وعزيمة، ويكون الداعي مستجمعًا لشرائطه(١).

الصفة الرابعة: دلالة الآية على إثبات قيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى.

قيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى يدخل ضمن إثبات صفة القرب والإجابة لله تعالى، وقد سبق تفصيل الكلام عن تلك الصفتين، لكن نشير هنا إلى بيان منهج أهل السنة في قيام الأفعال الاختيارية به تعالى، ودلالة صفات القرب والإجابة عليها.

أولاً: بيان معتقد أهل السنة والجماعة في إثبات قيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى:

للعلماء عدة تقسيمات لصفات الله تعالى، والذي يعنينا هنا هو: تقسيمها من حيث تعلقها بذات الله وأفعاله، فهي تنقسم إلى: صفات ذاتية: وهي التي لم يزل ولا يزال الله متصفًا بها؛ كالعلم، والقدرة، والحياة، والسمع، والبصر، والوجه، واليدين، ونحو ذلك، وإلى صفات فعلية: وهي الصفات المتعلقة بمشيئة الله وقدرته، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها؛ كالإجابة، والقرب، والمجيء، والنزول، والغضب، والفرح، والضحك، ونحو ذلك، وتسمى (الصفات الاختيارية)، وكل صفة تعلقت بمشيئته تعالى فإنها تابعة لحكمته، وقد تكون الحكمة معلومة لنا، وقد نعجز عن إدراكها، لكننا نعلم علم اليقين أنه سبحانه لا يشاء شيئًا إلا وهو موافق للحكمة، كما يشير إليه قوله تعالى ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان:٣٠](٢).

ولا يقوم الاعتقاد الصحيح في إثبات الصفات الاختيارية لله تعالى إلا بعد نفي المماثلة بين الله وخلقه، فلا تقاس صفاته على صفاتهم، فصفات الله تعالى تخصه وصفات المخلوقين تخصهم، ويبيَّن ذلك قول إسحاق بن راهويه(ت٢٣٨هـ): «لا يجوز الخوض في أمر الله كما يجوز الخوض في فعل المخلوقين؛ لقول الله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣]، ولا يجوز لأحد أن يتوهم على الله بصفاته وفعاله بفهم كما يجوز التفكر والنظر في أمر المخلوقين، وذلك أنه يمكن أن يكون الله ﷻ موصوفاً بالنزول كل ليلة إذا مضى ثلثها(٣) إلى السماء الدنيا كما يشاء، ولا يسأل كيف نزوله؛ لأن الخالق يصنع

(١) انظر: تفسير ابن عرفة (١/ ٢٢٥).

(٢) انظر: القواعد المثلى في صفات الله واسمائه الحسنى (ص:٢٥).

(٣) اختلفت الأحاديث في وقت نزول الله تعالى، والأكثر على أنه حين يبقى ثلث الليل الآخر، كما في رواية مسلم ح: ١٦٨، عن أبي هريرة مرفوعا: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر»، وأما تقييده بمضي الثلث الأول من الليل فقد جاء في بعض النصوص كما في رواية مسلم ح: ١٦٩، عن أبي هريرة مرفوعا: «ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول».

ما شاء كما يشاء))[١]، وسأل بشر بن السري(ت١٩٥هـ) حماد بن زيد(ت١٧٩هـ)، فقال: ((يا أبا إسماعيل، الحديث الذي جاء «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا» يتحول من مكان إلى مكان؟ فسكت حماد بن زيد، ثم قال: هو في مكانه يقرب من خلقه كيف يشاء))[٢]، وقال أبو الحسن الأشعري(ت٣٢٤هـ) لما ذكر مقالة أهل السنة وأهل الحديث: ((ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ أن الله سبحانه ينزل إلى سماء الدنيا... ويقرون أن الله سبحانه يجيء يوم القيامة... وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء... وبكل ما ذكرنا من أقوالهم نقول وإليه نذهب))[٣]، وقال ابن تيمية(ت٧٢٨هـ): ((والله تعالى حي قيوم، لم يزل موصوفاً بأنه يتكلم بما يشاء، فعال لما يشاء، وهذا قد قاله العلماء الأكابر من أهل السنة والحديث، ونقلوه عن السلف والأئمة، وهو قول طوائف كثيرة من أهل الكلام والفلسفة المتقدمين والمتأخرين، بل هو قول جمهور المتقدمين من الفلاسفة[٤]))[٥].

ثانياً: بيان دلالة الآية على إثبات قيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى:

دل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة:١٨٦]، على إثبات الأفعال الاختيارية لله تعالى من وجهين:

الوجه الأول: إثبات صفة القرب لله تعالى في قوله: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، وهي متعلقة بقوله ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾، فهو قريب لمن سأله، فيجيب الداعي ويثيب العابد، فهو يقرب لمن شاء إذا أتى العبد بسبب القرب[٦]، قال ابن تيمية(ت٧٢٨هـ): ((وأما دنوه نفسه وتقربه من بعض عباده؛ فهذا يثبته

(١) ذم الكلام وأهله (٤/ ٣٢٤)، وقد نقله أيضا: ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥/٣٥٣).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٢٥).

(٣) مقالات الإسلاميين (١/٣٤٨-٣٥٠).

(٤) الفلاسفة: هم من ينتسبون إلى الفلسفة، والفلسفة كلمة يونانية، مركبة من كلمتين (فيلا) أي محب، و (سوفيا) أي الحكمة، فمعناها محب الحكمة، ومن آراء معظمهم: القول بقدم العالم، وإنكار النبوات، وإنكار البعث الجسماني. انظر: الملل والنحل (٢/٣٦٣)، وإغاثة اللهفان (٢/٢٥٦).

(٥) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٥)، وينظر: الدرء (٢/ ١٢٤ - ١٤٥، ١٤٧ - ١٤٨)، ومجموع الفتاوى (٦/ ٢١٧)، وصفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة (ص ٢٨ - ٢٩)، والصفات الإلهية تعريفها، أقسامها (ص: ٦٥ - ٦٦)، والصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه (١/ ١٥٣).

(٦) وقصر ابن تيمية في مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/ ٢٣٢ – ٢٤٩) القرب على القرب الخاص ونفى التقسيم إلى عام وخاص، وكذلك اختاره تلميذه ابن القيم ونصره الشيخ ابن عثيمين في شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (٢/ ٩٠)فقال: ((واعلم أن من العلماء من قسم قرب الله تعالى إلى قسمين؛ كالمعية، وقال: القرب الذي مقتضاه الإحاطة قرب عام، والقرب الذي مقتضاه الإجابة والإثابة قرب خاص، ومنهم من يقول: إن القرب خاص فقط؛ مقتضٍ لإجابة الداعي وإثابة العابد، ولا ينقسم)) ثم ذكر أدلة ذلك الاختصاص، ووجه الاستدلال بقوله تعالى : {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦)} [ق: ١٦]، وقوله:

من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه، ومجيئه يوم القيامة، ونزوله، واستواءه على العرش، وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين وأهل الحديث، والنقل عنهم بذلك متواتر))[١].

ولما تكلم ابن عثيمين(ت١٤٢١هـ) عن قوله ﷺ فيما يرويه عن الله تعالى أنه قال: «من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت من باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة»[٢]، قال معلقاً على هذا الحديث: ((وهذا الحديث كغيره من النصوص الدالة على قيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى، وأنه سبحانه فعال لما يريد، كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]... إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على قيام الأفعال الاختيارية به تعالى، فقوله في هذا الحديث: تقربت منه، وأتيته هرولة، من هذا الباب، والسلف أهل السنة والجماعة يجرون هذه النصوص على ظاهرها وحقيقة معناها اللائق بالله ﷻ من غير تكييف ولا تمثيل، فأي مانع يمنع من القول بأنه يقرب من عبده كيف يشاء مع علوه؟، وأي مانع يمنع من إتيانه كيف يشاء بدون تكييف ولا تمثيل؟ وهل هذا إلا من كماله أن يكون فعالاً لما يريد على الوجه الذي يليق به؟))[٣].

الوجه الثاني: إثبات صفة الإجابة لله تعالى في قوله: ﴿أُجِيبُ﴾، وهي متعلقة بدعاء العبد، فإذا دعا العبد استجاب الله تعالى له، وإذا لم يقم بسبب الاستجابة لم يجبه، وكل النقولات عن السلف السابقة في صفة القرب يصح إيرادها هنا، فالباب واحد، ولكنها أمثلة متنوعة لصفات الله التي تدخل تحت مسمى (صفات الأفعال الاختيارية).

{وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ} [الواقعة: ٨٣ – ٨٥] وبين أن المراد بقربه تعالى في الآيتين قرب ملائكته.

(١) شرح حديث النزول (ص: ١٠٥).

(٢) أخرجه البخاري ح: ٧٤٠٥، ومسلم ح:٢٦٧٥.

(٣) القواعد المثلى في صفات الله واسمائه الحسنى (ص:٦٩-٧٠).

المبحث الثالث: دلالة الآية على توحيد العبادة، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف توحيد العبادة وأهميته.

أولاً: تعريف توحيد العبادة:

العبادة في اللغة: الذل والانقياد(١)، واصطلاحاً: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال، الباطنة والظاهرة، مثل: الصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام، وأمثال ذلك من العبادة (٢).

ويقال لهذا التوحيد توحيد الألوهية وتوحيد العبادة – وقد سبق التفصيل عن صفة الألوهية لله تعالى في المبحث الثاني– وتبيَّن أن الألوهية والعبودية بمعنى واحد، فالإله هو: المعبود، وأما توحيد العبادة: فهو العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين لله وحده، ويقال له: توحيد العبادة باعتبار وجوب ملازمة وصف العبودية بكل معانيها للعبد بإخلاص العبادة لله تعالى، وتحقيقها في العبد أن يكون عارفاً بربه، مخلصاً له جميع عبادته، محققاً ذلك بترك الشرك صغيره وكبيره(٣).

والعبودية تقوم على ساقين لا قوام لها بدونهما كما قال الإمام الذهبي(ت٧٤٨هـ): ((فمن خصائص الإلهية، العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما: غاية الحب، مع غاية الذل هذا تمام العبودية، وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الأصلين))(٤)، والعبودية نوعان: عامة، وخاصة، فالعبودية العامة عبودية أهل السماوات والأرض كلهم لله، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، فهذه عبودية القهر والملك، ويدل عليها قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣]، وأما النوع الثاني: فعبودية الطاعة والمحبة، واتباع الأوامر، ويدل عليها قوله: ﴿يَا عِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزُّخرُف:٦٨]، فالخلق كلهم عبيد ربوبيته، وأهل طاعته وولايته هم عبيد إلهيته(٥).

ثانياً: بيان أهمية توحيد العبادة:

توحيد العبادة والألوهية هو أعظم الأصول التي يقررها القرآن ويبرهن عليها، وأوجبها وألزمها لصلاح الإنسانية، وهو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله، وخلق المخلوقات، وشرع الشرائع لقيامه،

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٥٩)، ولسان العرب (١٢/٩).

(٢) انظر: العبودية (ص: ٤٤).

(٣) انظر: القواعد الحسان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ص: ١٩٢).

(٤) العرش للذهبي (١/ ١٢١)، وانظر: تفسير البغوي (١/ ٧٥)، وتفسير القرطبي (١/ ١٤٥)، وإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ١٣٣).

(٥) انظر: مدارج السالكين (١/ ١٢٥).

وبوجوده يكون الصلاح، وبفقده يكون الشر والفساد، وجميع الآيات القرآنية إما أمر به، أو بحق من حقوقه، أو نهي عن ضده، أو إقامة حجة عليه أو بيان جزاء أهله في الدنيا والآخرة، أو بيان الفرق بينهم وبين المشركين، وقد بيَّن أهميته ابن القيم(ت٧٥١هـ) فقال: ((أنه لا سعادة للقلب، ولا لذة، ولا نعيم، ولا صلاح إلا بأن يكون الله هو إلهه وفاطره وحده، وهو معبوده وغاية مطلوبه، وأحب إليه من كل ما سواه... فالله تعالى هو الذى يجب أن يكون هو المقصود المدعو المطلوب، الذى يراد وجهه، ويبتغى قربه، ويطلب رضاه، وهو المعين على حصول ذلك، وعبودية ما سواه والالتفات إليه، والتعلق به: هو المكروه الضار، والله هو المعين على دفعه، فهو سبحانه الجامع لهذه الأمور الأربعة دون ما سواه، فهو المعبود المحبوب المراد، وهو المعين لعبده على وصوله إليه وعبادته له، والمكروه البغيض إنما يكون بمشيئته وقدرته، وهو المعين لعبده على دفعه عنه))[(١)].

ويقول ابن سعدي(ت١٣٧٦هـ) في بيان منزلته: ((ومقصود دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم: الدعوة إلى هذا التوحيد... فالله خلق الخلق لعبادته والإخلاص له، وأن ذلك حقه الواجب المفروض عليهم، فجميع الكتب السماوية وجميع الرسل دعوا إلى هذا التوحيد، ونهوا عن ضده من الشرك والتنديد، وخصوصا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا القرآن الكريم، فإنه أمر به وفرضه وقرره أعظم تقرير، وبيَّنه أعظم بيان، وأخبر أنه لا نجاة ولا فلاح ولا سعادة إلا بهذا التوحيد، وأن جميع الأدلة العقلية والنقلية والأفقية والنفسية أدلة وبراهين على هذا الأمر بهذا التوحيد ووجوبه، فالتوحيد هو حق الله الواجب على العبيد، وهو أعظم أوامر الدين وأصل الأصول كلها، وأساس الأعمال))[(٢)].

ويمكن ذكر بعض من آثاره الحسنة على العبد في الدنيا والآخرة: فمن فضائله: أنه السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوبتهما، وأنه يمنع الخلود في النار، إذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبة خردل، وأنه إذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية، وأنه يحصل لصاحبه الهدى الكامل والأمن التام في الدنيا والآخرة، وأنه السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه، وأن أسعد الناس بشفاعة محمد ﷺ من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه، وأن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها، وفي ترتب الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت، وأنه يسهل على العبد فعل الخير وترك المنكرات ويسليه عن المصيبات، فالمخلص لله في إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي، لما يخشى من سخطه وعقابه، وأن التوحيد إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان وزينه في قلبه، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان، وجعله من الراشدين، وأنه يخفف عن العبد المكاره ويهون عليه الآلام، فبحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان، يتلقى المكاره والآلام بقلب منشرح ونفس مطمئنة وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة، وأنه يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم، وأن التوحيد إذا تم وكمل في القلب وتحقق تحققا كاملا بالإخلاص التام، فإنه يصير القليل من

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٢٦).

(٢) القول السديد (ص: ١٩).

عمله كثيرا، وتضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب، ورجحت كلمة الإخلاص في ميزان العبد بحيث لا تقابلها السماوات والأرض وعمارها من جميع خلق الله(١).

المطلب الثاني: دلالة الآية على إثبات توحيد العبادة.

دل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[البقرة:١٨٦] على إثبات توحيد العبادة والألوهية لله تعالى بأتم بيان، وبيانه من وجوه عدة:

الوجه الأول: دلالة دليل الفطرة على إثبات توحيد العبادة.

فطر الله تعالى خلقه على الإسلام(٢)، وهذا يعني أن الفطرة تتضمن الإقرار بربوبية الله وألوهيته، والسلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة، الذي يعني أنهم حنفاء موحدون لرب العالمين بالألوهية، ومتبرئون من تأله ما سواه، وجعل ذلك من لوازم فطرهم بحيث لو تركوا ودواعيها لما كانوا إلا مقرين لله بربوبيته وألوهيته وكماله، فالفطرة تقتضي: عبادة الفاطر، وأن من كان مفطوراً مخلوقاً فحري به أن يتفرغ لعبادة فاطره وخالقه، قال تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[يس:٢٢]، وقد بيَّن علماء الإسلام أن فطرة الله لخلقه تعني فطرتهم على أمرين، هما إثبات ربوبيته وألوهيته، قال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) : ((الفطرة تتضمن الإقرار بالله والإنابة إليه، وهو معنى لا إله إلا الله؛ فإن الإله هو الذي يعرف ويعبد))(٣)، وقال أيضاً: ((فالله سبحانه فطر عباده على محبته وعبادته وحده؛ فإذا تركت الفطرة بلا فساد كان القلب عارفًا بالله محبًا له عابدًا له وحده، لكن تفسد فطرته من مرضه، كأبويه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه... والرسل صلى الله عليهم وسلم بعثوا لتقرير الفطرة وتكميلها، لا لتغيير الفطرة وتحويلها))(٤)، وقد بيَّن ابن كثير(ت٧٧٤هـ) أن الفطرة شاملة لربوبيته وألوهيته

---

(١) انظر لمزيد الفائدة: تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٨٧)، والقول السديد (ص: ٢٣-٢٤)، والقواعد الحسان ص ١٩٢، والحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين (ص: ٥٧).

(٢) تفسير الفطرة بالإسلام هو المعروف عند عامة السلف، من أهل العلم بالتأويل، فقد أجمعوا في قول الله عز وجل: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[الروم:٣٠]، على أن قالوا: فطرة الله دين الله الإسلام. انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٨/ ٧٢)، وانظر تفسير ابن جرير الطبري (١٠/١٨٣) فقد نقل عن عدة من السلف في تفسير الفطرة بالإسلام، وقال ابن حجر: وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة الإسلام. انظر: فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٤٨)، وحكى محمد بن نصر أن آخر قولي أحمد أن المراد بالفطرة الإسلام. انظر: فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٤٩)، وقال البخاري: والفطرة الإسلام. انظر: صحيح البخاري كتاب التفسير: باب لا تبديل لخلق الله ح (٤٧٧٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٢/ ٦).

(٤) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٣٥)، وانظر أيضا مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٤٥).

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم:٣٠]، فقال: ((فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره))(١).

فإذاً تبيَّن أن فطرة الله لخلقه تعني فطرتهم على أمرين، هما إثبات ربوبيته وألوهيته انسجم ذلك مع جواب الله تعالى في هذه الآية للسائلين، فإن السؤال منهم وإن كان ظاهره عاماً كما جاء في بداية قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦] فقد ذكر أن سؤالهم كان عنه، فقال: ﴿عَنِّي﴾، وهذا سؤال عام، لم يحدد في الآية ماهية السؤال، وهذا العموم يدخل فيه من يسأل عن إثبات وجوده، ويدخل فيه من يقر بوجوده ويسأل عن مسائل أخرى تتعلق بربوبيته وصفاته، وقد ذكر الفخر الرازي(ت٦٠٦هـ) في تفسيره عدة وجوه عن المسؤول عنه المتعلق بالله، فقال: ((فذلك السؤال إما أنه كان سؤالاً عن ذات الله تعالى، أو عن صفاته، أو عن أفعاله))(٢)، وقال الشوكاني(ت١١٧٣هـ): ((قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ يحتمل أن السؤال عن: القرب والبعد، كما يدل عليه قوله: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ ويحتمل أن السؤال عن: إجابة الدعاء، كما يدل على ذلك قوله: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ ويحتمل أن السؤال عما هو أعم من ذلك، وهذا هو الظاهر مع قطع النظر عن السبب الذي سيأتي بيانه))(٣)، **وعلى كل الوجوه السابقة فإن إجابة الله تعالى كانت عن مسائل واضحة**، تقر بها الفطرة، ولا يحتاج في إثباتها إلا مجرد ذكرها، ولا يحتاج لذكرها أدلة مؤيدة لها، كما قال القرطبي(ت٦٧١هـ): ((المعنى: وإذا سألوك عن المعبود، فأخبرهم أنه قريب يثيب على الطاعة، ويجيب الداعي، ويعلم ما يفعله العبد من صوم وصلاة وغير ذلك))(٤)، **وكونه قريباً، ويثيب المطيع، ويجيب الداعي مما تقر به الفطرة، وتسلم به، وهذا دليل في الآية بأن مسألة توجه العبد لله بفعل الطاعة وصرف الدعاء له وحده سبحانه مما تقر به الفطر البشرية.**

الوجه الثاني: دلالة قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ على مقام (الإحسان) في عبادة الله تعالى.

أشارت الآية إلى مرتبة الإحسان، وذلك عند قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، فهو دعوة للعبد بأن يستشعر بأن يرى الله ويشاهده بقلبه، فإن لم يستطع فيستشعر أن الله يراه ويراقبه، لأن الله تعالى في كلتا الحالتين قريب منه، قرباً يليق بجلاله، وذلك يوجب عليه وهو في هذه الحالة أن تكون كل أعماله خالصة لوجه الله تعالى، ليس لأحد فيها مطمع، ولا يشوبها شائبة شرك، لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله وإرادته بالعمل.

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٨٢).
(٢) تفسير الرازي (٥/ ٢٦١).
(٣) فتح القدير (١/ ٢١٢)، وانظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (١/ ٣٧١).
(٤) تفسير القرطبي (٢/ ٣٠٨).

وتفصيل ذلك: أن مرتبة الإحسان هي المرتبة الثالثة من مراتب الدين، المفصلة في حديث جبريل المشهور(١)، وهي أعلى مراتب الدين، وأعظمها، وأهلها هم المستكملون لها، السابقون بالخيرات، ويختلف معنى الإحسان باختلاف درجته، **الدرجة الأولى**: مقام المشاهدة، وهي أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة، كأنه يراه بقلبه وينظر إليه في حال عبادته، وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم، وهذه هي الدرجة العليا له، **الدرجة الثانية**: مقام الإخلاص، وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه، واطلاعه عليه وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه، فهو مخلص لله، لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله وإرادته بالعمل(٢).

وقد فسره النبي ﷺ بذلك كما في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال: ما الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»(٣)، والأدلة التي ذكرت هذا المعنى كثيرة فمن ذلك: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]، وقوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦](٤)، وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ، الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ، وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء:٢١٧-٢٢٠]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»(٥)، ((ولم يكن أصحاب النبي ﷺ يفهمون من هذه النصوص غير المعنى الصحيح المراد بها، يستفيدون بذلك معرفة عظمة الله وجلاله، واطلاعه على عباده، وإحاطته بهم، وقربه من عابديه،

---

(١) أخرجه البخاري ح٤٧٧٧، ومسلم ح٩ من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعا.

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ١٢٦).

(٣) أخرجه البخاري ح:٥٠، ومسلم ح:٩.

(٤) قال ابن القيم: ((وبابه إما من الاستغناء بأحد المذكورين عن الآخر، والدلالة بالمذكور على المحذوف، والأصل إن الله قريب من المحسنين، ورحمته قريبة منهم، فيكون قد أخبر عن قرب ذاته وقرب ثوابه من المحسنين واكتفى بالخبر عن أحدهما عن الآخر وقريب منه وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ ... والذي عندي أن الرحمة لما كانت من صفات الله تعالى، وصفاته قائمة بذاته، فإذا كانت قريبة من المحسنين، فهو قريب سبحانه منهم قطعا، وقد بيَّنا أنه سبحانه قريب من أهل الإحسان، ومن أهل سؤاله بإجابته)). مختصر الصواعق المرسلة (ص:٦٢٥).

(٥) أخرجه البخاري ح:٦٥٠٢.

وإجابته لدعائهم، فيزدادون به خشيةً لله وتعظيمًا وإجلالًا ومهابةً ومراقبةً واستحياءً، ويعبدونه كأنهم يرونه))[١].

ومن كان هذا حاله في كلتا الدرجتين فإنه أقام الدين كله، ومن باب أولى أنه أقام توحيد الألوهية، ولم ينقص منه شيء، ((فالمحسنون هم الذين آمنوا بالله ﷻ، وبإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وأفردوه بالعبادة محبةً وتذللاً وانقيادًا وخوفًا ورجاءً ورغبَة ورهبَة وخشيَة وخشوعًا ومهابَة وتعظيمًا وتوكلًا عليه وافتقارًا إليه واستغناءً به عما سواه، واتقوه بامتثال أوامره ومحبة مرضاته وترك مناهيه وموجبات سخطه سرًا وعلنًا وظاهرًا وباطنًا قولًا وعملًا واعتقادًا، واستشعرت قلوبهم ونفوسهم إحاطة الله ﷻ بهم علمًا وقدرةً ولطفًا وخبرةً بأقوالهم ونياتهم وأسرارهم وعلانياتهم وحركاتهم وسكناتهم وجميع أحوالهم كيف عملوا وأين عملوا ومتى عملوا فكان عملهم خالصاً لله موافقًا لشرعه مناطًا بما جاءت به رسله ونطقت به كتبه، مستحضرين ذلك بقلوبهم نافذة فيه بصائرهم فأخلصوا لله العمل وراقبوه مراقبة من ينظر إلى ربه، لكمال علمهم بأن الله ينظر إليهم ويرى حالهم ويسمع مقالهم, فطرحوا النفوس بين يديه وأقبلوا بكليتهم عليه والتجأوا منه إليه وعاذوا به منه وأحبوه من كل قلوبهم فامتلأت بنور معرفته فلم تتسع لغيره, فبه يبصرون وبه يسمعون وبه يبطشون وبه يمشون، وبرؤيتهم يذكر الله تعالى وبذكره يذكرون))[٢].

الوجه الثالث: دلالة الآية على إبطال الشرك في الألوهية:

دلت الآية على أنه يجب أن يفرد الله تعالى بالعبادة، ولا يجوز صرفها لغيره، وهذا أصل عظيم في جميع الأديان السماوية، ودلالة الآية عليه من أمرين:

الأمر الأول: دلالة صفة القرب على إبطال الشرك في عبادة الله تعالى.

دلت الآية أن الله تعالى قريب من كل من دعاه، فالله أعلم وأقدر وأرحم من كل أحد، فإذا آمن العباد بأن الله تعالى قريب منهم، ليس بينه وبينهم حجاب ولا ولي ولا شفيع يبلغه دعاءهم وعبادتهم، أو يشاركه في إجابتهم أو إثابتهم، فعند ذلك وجب عليهم أن يتوجهوا له وحده بالعبادة، حنفاء مخلصين له الدين[٣]، فهو أقرب من غيره من الآلهة والمدعوات من دونه التي يعبدها المشركون زوراً، ولذلك أتى الله بكلمة ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، لأن المشركين يزعمون أنهم بعيدون عن الله بسبب معاصيهم فيحتاجون إلى من يقربهم إلى الله، ولا يكون ذلك إلا بالتقرب إلى الوسطاء من المعبودات التي دون الله لتقربهم إلى الله، ولذلك قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[الزُّمَر:٣]، وبسبب هذه العلة الشيطانية هدم الله تعالى هذا الاعتقاد الفاسد بقوله ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ وقوله ﷺ: «أيها الناس! اربعوا على أنفسكم، إنكم لا

(١) فتح الباري لابن رجب (٣/ ١١٣).

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٣/ ١٠٠١).

(٣) انظر: تفسير المنار (٢/ ١٣٥)، وتفسير المراغي (٢/ ٧٥).

تدعون أصمَّ ولا غائباً، ولكن تدعون سميعاً قريباً، إنَّ الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»[(١)]، وقد أمر الله العباد كلهم بالصلاة له ومناجاته وأمر كلا منهم أن يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينِ﴾[الفاتحة:٥]، فالله تعالى أعلم وأقدر وأرحم من كل أحد بعبده، فلا يجوز العدول عن سؤاله إلى سؤال غيره، ولذلك كان رسول الله ﷺ يوجه الصحابة بأن يتوجهوا لله بالدعاء والاستخارة لأنه الأقرب والأقدر والأعلم من غيره ويقول: ((اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني))[(٢)].

وأما قول المشرك بأن الذي يدعوه من الأولياء والصالحين أقرب وأعلى منزلة عند الله منه فهذه كلمة حق أريد بها باطل، قال ابن تيمية(ت٧٢٨هـ): ((إن من يأتي إلى القبر أو إلى رجل صالح ويستنجده... أن يطلب منه أن يدعو له **لأنه أقرب إلى الإجابة**، فهذا مشروع في الحي، وأما الميت فلم يشرع لنا أن نقول له: ادع لنا، ولا اسأل لنا ربك؛ ولم يفعل ذلك أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا أمر به أحد من الأئمة، ولا ورد في حديث))[(٣)]، قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ(ت١٢٩٣هـ): ((وقول كثير من الضلال: هذا أقرب إلى الله مني، وأنا بعيد من الله لا يمكن أن أدعوه إلا بهذه الواسطة، ونحو ذلك هو من قول المشركين، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة:١٨٦]... ثم يقال لهذا المشرك: أنت إذا دعوت هذا، فإن كنت تظن أنه أعلم بحالك وأقدر على إجابة سؤالك أو أرحم بك من ربّك، فهذا جهل وضلال وكفر، وإن كنت تعلم أن الله أعلم وأقدر وأرحم، فلماذا عدلت عن سؤاله إلى سؤال غيره... وإن كنت تعلم أنه أقرب إلى الله منك وأعلى منزلة عند الله منك فهذا حق؛ لكن كلمة حق أريد بها باطل؛ فإنه إذا كان أقرب منك وأعلى درجة منك فإنما معناه: أن يثيبه ويعطيه، ليس معناه: أنك إذا دعوته كان الله يقضي حاجتك أعظم مما يقضيها إذا دعوت أنت، فإنك إن كنت مستحقا للعقاب ورد الدعاء مثلا لما فيه من

(١) أخرجه مسلم ٢٧٠٤.

(٢) أخرجه البخاري ح:١١٦٢.

(٣) المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ١٨).

العدوان فالنبي أو الصالح لا يعين على ما يكرهه الله، ولا يسعى فيما يبغضه الله، وإن لم يكن كذلك، فالله أولى بالرحمة والقبول منه))[١].

الأمر الثاني: دلالة قوله ﴿إِذَا دَعَانِ﴾ على إبطال الشرك في عبادة الله تعالى.

جاء الله تعالى بكلمة **﴿إِذَا دَعَانِ﴾** بعد قوله: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ ليؤكد أنه يجيب دعوة الداع منهم بنفسه من غير واسطة، إذا دعان، وتوجه إليه وحده في طلب حاجته، قال محمد رشيد رضا(ت١٣٥٤هـ): ((أي: يجب أن يدعى وحده بدون واسطة، لأنه هو الذي خلق الإنسان، ويعلم ما توسوس به نفسه بدون واسطة، وهو الذي يجيب دعوته وحده بدون واسطة تعينه، أو تساعده، أو تنوب عنه في الإجابة، وقضاء الحاجة، أو تؤثر في إرادته، ولا إلى أن يتخذوا وسطاء بينهم وبينه في التوجه إليه وسؤال رحمته وفضله، بل يجب أن يصمدوا إليه وحده، فإنه هو الذي يجيب دعاءهم وحده))[٢].

وقال ابن تيمية(ت٧٢٨هـ): ((وأما في إجابة الدعاء، وكشف البلاء، والهداية والإغناء، فالله تعالى هو الذي يسمع كلامهم ويرى مكانهم ويعلم سرهم ونجواهم، وهو سبحانه قادر على إنزال النعم، وإزالة الضر والسقم، من غير احتياج منه إلى أن يعرفه أحد أحوال عباده، أو يعينه على قضاء حوائجهم... وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم إذا سألوا النبي ﷺ عن الأحكام أمر رسول الله ﷺ بإجابتهم كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة:١٨٩]، وقال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾[البقرة:٢١٩]، وقال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾[البقرة:٢١٧]، إلى غير ذلك من مسائلهم، فلما سألوه عنه سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، فلم يقل سبحانه: "فقل"، بل قال تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾، فهو قريب من عباده))[٣]، وقال الزركشي(ت٧٩٤هـ): ((فإن قيل: كيف جاء ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ وعادة السؤال يجيء جوابه في القرآن بـ (قل)، نحو ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة:١٨٩]، ونظائره؟، قيل: حذفت للإشارة إلى أن العبد في حالة الدعاء مستغن عن الواسطة، وهو دليل على أنه أشرف المقامات، فإن الله سبحانه لم يجعل بينه وبين الداعي واسطة))[٤].

فقد تبيَّن من الأمرين السابقين: أن الآية دلت على قرب الله من خلقه قربًا لا يحتاجون معه لاتخاذ وسائط بينهم وبينه يسألونهم الشفاعة ويدعونهم في جلب الخير ودفع الشر، ومن خالف ذلك واتخذ

(١) منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس (ص: ١٧٩).
(٢) تفسير المنار (٢/ ١٣٦).
(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١/٣٣٣- ٣٣٤).
(٤) البرهان في علوم القرآن (٤/ ٥٤)، وانظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن (١/ ٦٦)، والإتقان في علوم القرآن (٣/ ٣٨٨).

الوسائط فقد وقع في الشرك المخرج من الملة، وقد تواترت الأدلة على تكفير من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُون﴾ [الأحقاف:٥]، فأخبر الله عز وجل أنه ليس هناك أحد أضل ممن يدعو من دون الله، وقال: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ﴾ [الرعد:١٤]، وقال: ﴿قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلا﴾ [الإسراء:٥٦].

قال ابن تيمية(ت٧٢٨هـ): ((والمرتد من أشرك بالله تعالى... أو جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم))[(١)]، وقال أيضاً: ((وإن أراد بالواسطة: أنه لا بد من واسطة يتخذها العباد بينهم وبين الله، في جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يكون واسطة في رزق العباد، ونصرهم وهداهم، يسألونه ذلك، ويرجعون إليه، فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين، حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء، يجتلبون بهم المنافع، ويدفعون بهم المضار، لكون الشفاعة لم يأذن الله له فيها))[(٢)].

ولذلك عده الشيخ محمد بن عبد الوهاب(ت١٢٠٦هـ) من نواقض الإسلام العشرة، فقال: ((الناقض الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم، فقد كفر إجماعًا))[(٣)]، قال الشيخ سليمان بن عبد الله(ت١٢٣٣هـ): ((وهو إجماع صحيح معلوم بالضرورة من الدين، وقد نص العلماء من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم في باب حكم المرتد على أن من أشرك بالله فهو كافر، أي عبد مع الله غيره بنوع من أنواع العبادات، وقد ثبت بالكتاب والسنة والاجماع أن دعاء الله عبادة له فيكون صرفه لغير الله شركاً))[(٤)].

والوساطة بين الله وبين خلقه مشروعة من وجه وممنوعة من وجه[(٥)]، فالوساطة حق عند تبليغ أمر الله، فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه، وما أمر به وما نهى عنه، وما أعده لأوليائه من كرامته، وما وعد به أعداءه من عذابه، ولا يعرفون ما يستحقه الله تعالى من أسمائه الحسنى، وصفاته العليا، التي تعجز العقول عن معرفتها وأمثال ذلك إلا بالرسل، الذين أرسلهم الله إلى عباده، فالرسول ﷺ واسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه، ووعده ووعيده، وتحليله وتحريمه، وسائر ما بلغه من كلامه.

---

(١) الفتاوى الكبرى (٥/ ٥٣٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ١٢٣)، وانظر: مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٩٠).

(٣) عقيدة الموحدين (ص:٤٥٦).

(٤) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص: ١٩٤).

(٥) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١/ ٣٣٣)، والواسطة بين الحق والخلق (ص: ١٦-٢٥)، والعواصم من القواصم (ص: ١٨٦)، والصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية (ص: ١٤٤).

والوساطة الممنوعة هي الزعم بأنه لابد من الوساطة بغير الله فى جلب المنافع، ودفع المضار، مثل: أن يكون واسطة فى رزق العباد، ونصرهم، وهداهم، يسألونه ذلك، ويرجون إليه فيه، فهذا من أعظم الشرك، الذي كفر الله به المشركين، حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء، يجتلبون بهم المنافع ويجتنبون المضار، فالله تعالى هو الذي يسمع كلامهم ويرى مكانهم ويعلم سرهم ونجواهم، وهو سبحانه قادر على إنزال النعم، وإزالة الضر والسقم، من غير احتياج منه إلى أن يعرفه أحد أحوال عباده، أو يعينه على قضاء حوائجهم، والأسباب التي بها يحصل ذلك هو خلقها ويسرها، فهو مسبب الأسباب، فأهل السموات يسألونه وأهل الأرض يسألونه، وهو سبحانه لا يشغله سمع كلام هذا عن سمع كلام هذا، ولا يغلطه اختلاف أصواتهم ولغاتهم، بل يسمع ضجيج الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات، ولا يبرمه إلحاح الملحين، بل يحب الإلحاح في الدعاء، فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم، ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنب، وهداية القلوب، وتفريج الكروب، وسد الفاقات، فهو كافر بإجماع المسلمين.

وقد بيَّن الله تعالى بالأدلة الواضحات ضلال من هذا حاله، ومن تلك الأدلة: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[البقرة:١٨٦]، وكذلك هو من الشرك الذى أنكره الله على النصارى حيث قال: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[التوبة:٣١]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ، وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾[الشَّرح:٧-٨]، وقال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾[النمل:٦٢]، وقد كان النبى ﷺ يحقق هذا التوحيد لأمته، ويحسم عنهم مواد الشرك؛ فقد قال لابن عباس: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»(١)، وقال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله»(٢).

الوجه الرابع: دلالة الآية على مقام إخلاص العبادة لله تعالى.

دلت الآية على وجوب إخلاص العبادة لله تعالى من قوله: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ ثم اشترط للدعوة قيدًا وهو: ﴿إِذَا دَعَانِ﴾ فلا بد أن تكون الدعوة له وحده وليست لأحد غيره، قال الشيخ ابن عثيمين(ت١٤٢١هـ): ((فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: ﴿إِذَا دَعَانِ﴾ بعد قوله تعالى: ﴿الدَّاعِ﴾ لأنه لا يوصف بأنه داع إلا إذا دعا؟ فالجواب: أن المراد بقوله تعالى: ﴿إِذَا دَعَانِ﴾ أي إذا صدق في دعائه

(١) أخرجه الإمام أحمد ح:٢٧٦٣، (٤/ ٤٨٧)، والترمذي ح: ٢٥١٦، (٤/ ٦٦٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح:٧٩٥٦، (٢/ ١٣١٧).

(٢) أخرجه البخاري ح:٣٤٤٥.

إياي، بأن شعر بأنه في حاجة إلى الله، وأن الله قادر على إجابته، **وأخلص الدعاء لله** بحيث لا يتعلق قلبه بغيره))[١].

الوجه الخامس: دلالة الآية على وجوب العبادة على الخلق، وأنه وحده الذي يطاع طاعة العبادة: ودليل ذلك ما جاء في آخر الآية في قوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي﴾ [البقرة:١٨٦][٢]، على وجوب العبادة على الخلق، وأنه وحده هو الذي يجب أن تفرد له العبادة من وجهين:

الوجه الأول: إفراد الله بالعبادة والألوهية عملاً بالجوارح، من قوله: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾، والمعنى: إذا دعوتهم بالأمر بالعبادات والنهي عن المحرمات، وإفراده بالطاعات، فيجب عليهم امتثال أمره ونهيه، والاستعانة به، وذلك بكمال الطاعة لألوهيته، والطاعة والعبادة هى مصلحة العبد التى فيها سعادته ونجاته.

الوجه الثاني: إفراد الله بالعبادة والألوهية اعتقاداً وإيماناً بالقلب، من قوله: ﴿وَلْيُؤْمِنُواْ بِي﴾، والمعنى: الإيمان بربوبيته وألوهيته، وأنه ربهم وإلههم، ويؤمنوا بى أن أجيب دعاءهم لى بالمسألة والتضرع.

قال ابن تيمية(ت٧٢٨هـ): ((أمرهم بالاستجابة له وبالإيمان به، كما قال بعضهم: فليستجيبوا لي إذا دعوتهم، وليؤمنوا بي أني أجيب دعوتهم، قالوا: وبهذين السببين تحصل إجابة الدعوة: بكمال الطاعة لألوهيته، وبصحة الإيمان بربوبيته، فمن استجاب لربه بامتثال أمره ونهيه؛ حصل مقصوده من الدعاء، وأجيب دعاؤه، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ [الشورى:٢٦]، أي: يستجيب لهم، يقال: استجابه واستجاب له))[٣]، وقال أيضاً: ((ولهذا قيل: إجابة الدعاء تكون عن صحة الاعتقاد، وعن كمال الطاعة؛ لأنه عقب آية الدعاء بقوله: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي﴾))[٤].

وقال محمد رشيد رضا(ت١٣٥٤هـ): ((فليستجيبوا هم لي بتحري ما أمرتهم من الإيمان والأعمال النافعة لهم، كالصيام وغيره مما أدعوهم إليه، كما أجيب دعوتهم بقبول عبادتهم، وتولي إعانتهم، فالآية تفيد أن المنفرد بإجابة الدعاء هو الذي يطاع طاعة العبادة، فإذا دعانا غيره إلى عبادة اخترعها باجتهاده لا دليل عليها فيما أوحاه الله إلى نبيه لا نجيبه إليها، كما أننا لا ندعو غيره تعالى))[٥].

---

(١) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٣٤٢)، وانظر: تفسير ابن عرفة (١/ ٢٢٥)، وتفسير المنار (٢/ ١٣٧).

(٢) انظر: الواسطة بين الحق والخلق (ص: ٣٩)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير) (٢/ ٣٨٣)، وقاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة (ص: ٩١)، واقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٣١٤).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٣١٤).

(٤) قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة (ص: ٩١).

(٥) تفسير المنار (٢/ ١٣٩).

الوجه السادس: دلالة الآية على عبودية الدعاء، ووجوب الإخلاص فيه:

الدعاء من أعظم العبادات التي أمر الله بها، وعرفه ابن العربي(ت٥٤٣هـ) بقوله: ((حقيقة الدعاء: مناداة الله تعالى لما يريد من جلب منفعة، أو دفع مضرة من المضار والبلاء بالدعاء، فهو سبب لذلك، واستجلاب لرحمة المولى))[(١)]، وهو من أعظم الأسباب وأقواها لجلب المنافع، ودفع المضار، والداعي يظهر فاقته واحتياجه لربه، ومن أعظم الآيات الدالة على أن الدعاء عبادة الآية التي هي محل بحثنا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، وقد أمر الله عباده بدعائه فقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:٦٠]، وكذلك نبه نبينا ﷺ على أهميته، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة»[(٢)]، فالدعاء في نفسه عبادة، فكل مدعو معبود، وقد جاء الوعيد فيمن دعا غيره، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يخرج عنق من النار يوم القيامة، له عينان يبصران، وأذنان يسمعان، ولسان ينطق، يقول: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلها آخر، وبالمصورين»[(٣)].

فتبيَّن أن الدعاء عبادة، وأن صرفه لله توحيد، وصرفه لغيره شرك، وقد أوجب على عباده أن يخلصوا له الدعاء بنوعيه: دعاء المسألة، ودعاء العبادة، وكل منهما يتضمن الآخر، والله يجيب الدعوة؛ بإعطاء السائل سؤله، ويجيب أيضاً الدعاء بإثابة الداعي العابد على عبادته، فالصحابة والسلف: يعلمون أن الدعاء يشمل هذا وهذا، فإن الدعاء في النصوص الشرعية نوعان[(٤)]: دعاء العبادة، ودعاء المسألة، فقد يراد به هذا تارة، وهذا تارة، ويراد به مجموعهما، فأما دعاء المسألة: فهو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره ودفعه، وكل من يملك الضر والنفع فإنه الإله المعبود، فيلزم من ذلك أن يكون هو المدعو وحده، المعبود وحده، فإن العبادة لا تصلح إلا لمالك الضر والنفع، ولا يملك ذلك ولا شيئا منه غيره تعالى، فهو المستحق للعبادة وحده، دون من لا يضر ولا ينفع، ولهذا أنكر تعالى على من عبد من دونه ما لا يملك ضرا ولا نفعا، وذلك كثير في القرآن كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾[يونس:١٠٦]، وأما دعاء العبادة، فهو يدعو ربه خوفا ورجاء، فعلم أن النوعين متلازمان، فكل

---

(١) عزاه اليافعي في كتابه (الدعاء آدابه وأسبابه) (ص: ١٤٤) إلى كتاب (مراقي الزلف) لابن العربي، وانظر: تفسير القاسمي (٢/ ٣٠).

(٢) سنن أبي داود ح:١٤٨١، (١/ ٥٥١)، والترمذي ح: ٢٩٦٩، (٥/ ٢١١)، وابن ماجه ح: ٣٨٢٨، (٢/ ١٢٥٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح: ٣٤٠٧، (١/ ٦٤١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد ح:٨٤٣٠، (١٤/ ١٥٢)، والترمذي: ح: ٢٥٧٤، (٤/ ٧٠١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح: ٨٠٥١، (٢/ ١٣٣٨).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٥/ ١٠)، وبدائع الفوائد (٣/ ٣).

دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة، وعلى هذا فقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، يتناول نوعي الدعاء، وبكل منهما فسرت الآية، قيل: أعطيه إذا سألني، وقيل: أثيبه إذا عبدني، والقولان متلازمان.

الخاتمة وتوصيات البحث:

في ختام هذا البحث أوجز أبرز نتائجه، ومنها:

١ – عظم منزلة قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦] حيث إنها آية واحدة، وتضمنت كثيرًا من المسائل التي تتعلق بتوحيد الله تعالى وغيرها من مسائل العقيدة.

٢– دلت الآية محل البحث على إفراد الله بالربوبية، وأن توحيد الربوبية يشتمل على أمرين: الأول: الإيمان بوجود الله تعالى، والثاني: الإقرار بأن الله تعالى خالق كل شيء، ومالكه، ورازقه، وأنه المحيي، المميت، النافع، الضار...

٣– أن الخلق مفطورون على الإقرار بوجود الله تعالى وربوبيته وألوهيته، ولم ينكره إلا شواذ من الخلق مكابرةً وعناداً.

٤– لا تحتاج الفطر السليمة والعقول الصحيحة إلى أدلة لإثبات وجود الله وربوبيته، ولكن وجود شواذ من الخلق كابروا في إنكاره والشرك فيه جاءت الدلائل على وجود الله وربوبيته من العقل، والحس، والفطرة، والشرع.

٥– دلت الآية محل البحث على إثبات وجود الله تعالى وربوبيته من وجوه عدة: فاعتقاد الداعي بأن الله يستجيب من يدعوه دليل على إثباته لربوبيته وعنايته بخلقه، وتوجه الداعي لله في الدعاء دليل على تفرد الله بالملك والقدرة والقهر التي هي من أعظم معاني الربوبية وإلا لما قصده بالدعاء، وتوجه العبد لربه بالدعاء دليل على إقراره بأنه هو الفقير والله هو الغني، وكل ذلك دليل على تفرد الله بالربوبية.

٦– توسط أهل السنة والجماعة في باب إثبات الأسماء والصفات لله تعالى، وقولهم قائم على ثلاثة أصول: الأصل الأول: الإيمان بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته إثباتًا ونفيًا، والأصل الثاني: تنزيه الله جل وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين، والأصل الثالث: قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الله بتلك الصفات.

٧– دلت الآية محل البحث على عدة صفات ثابتة لله تعالى، ودالة على كماله، منها: إثبات صفة المعبودية والألوهية، والقرب، والإجابة وقيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى.

٨– شمولية مفهوم العبادة التي يجب إفرادها لله تعالى عند أهل السنة والجماعة، فالعبادة في الإسلام هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال، الباطنة والظاهرة، مثل: الصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام، وأمثال ذلك من العبادة.

٩- العبودية الحقة تقوم على أصلين: غاية الحب، مع غاية الذل، وهذا تمام العبودية، وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الأصلين.

١٠- توحيد العبادة والألوهية هو أعظم أصول الإيمان، وهو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله، وبه سعادة الدنيا والآخرة.

١١- دلت الآية محل البحث على إثبات توحيد العبادة لله تعالى من وجوه عدة:

- دلالة الفطرة على إثبات توحيد العبادة فإن إجابة الله تعالى في الآية كانت عن مسائل واضحة، تقر بها الفطرة، ولا يحتاج في إثباتها إلا مجرد ذكرها، ولا يحتاج لذكرها أدلة مؤيدة لها.

- دلالة قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ على مقام (الإحسان) في عبادة الله تعالى.

- دلالة الآية على إبطال الشرك في الألوهية من أمرين: الأول: دلالة صفة القرب على إبطال الشرك في عبادة الله تعالى، والثاني: دلالة قوله ﴿إِذَا دَعَانِ﴾ على إبطال الشرك في عبادة الله تعالى.

- دلالة الآية على مقام إخلاص العبادة لله تعالى.

- دلالة الآية على وجوب العبادة على الخلق، وأنه وحده الذي يطاع طاعة عبادة.

- دلالة الآية على عبودية الدعاء، ووجوب الإخلاص فيه.

توصيات البحث:

١ – على المسلمين أن يعتنوا بكلام الله تعالى، وأن يتدبروه، ويعتمدوا عليه وعلى السنة الصحيحة في معرفة مسائل الدين.

٢- ضرورة الاهتمام بالرجوع لكتب التفسير السلفية، وكتب السلف الأخرى في فهم كلام الله تعالى وتدبره.

٣- ضرورة الدفاع عن مسائل العقيدة بكل الطرق الشرعية من تأليف وتحقيق ودعوة وغيرها.

هذا والحمد على توفيقه وإعانته، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المراجع.

١- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ.
٢- أحكام أهل الذمة، لابن القيم، تحقيق: يوسف البكري، وشاكر العاروري، الطبعة١، ١٤١٨هـ، الناشر: رمادى للنشر – الدمام.
٣- الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، للدكتور سعود بن عبد العزيز العريفي، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ، الناشر: دار عالم الفوائد بمكة المكرمة.
٤- الاستقامة، لابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة١، ١٤٠٣هـ.
٥- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد أمين الشنقيطي، ١٤١٥، الناشر: دار الفكر للطباعة.
٦- إغاثة اللهفان، لابن القيم، تحقيق: محمد عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة٢، ١٤٠٨هـ.
٧- أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات، لمرعي بن يوسف الحنبلى ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة١، ١٤٠٦هـ.
٨- اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، الطبعة٧، ١٤١٩، الناشر: دار عالم الكتب.
٩- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.
١٠- بدائع الفوائد، لابن القيم، الناشر: دار الباز، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا- عادل العدوي، الطبعة١، ١٤١٦هـ.
١١- البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، الطبعة١، ١٣٧٦هـ.
١٢- بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: مجمع الملك فهد، الطبعة ١، ١٤٢٦هـ
١٣- البيهقي وموقفه من الإلهيات، لأحمد بن عطية الغامدي، الطبعة٢، ١٤٢٣هـ، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.
١٤- تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة،تحقيق: محمد زهري النجار، الناشر: دار الجيل ،١٣٩٣ – ١٩٧٢.
١٥- التحرير والتنوير (تفسير ابن عاشور)، للطاهر بن عاشور، ١٩٩٧، الناشر: دار سحنون.
١٦- تسهيل العقيدة الإسلامية، لعبد الله الجبرين، الناشر: دار العصيمي :٢.
١٧- التعريفات، للجرجاني،الطبعة١، ١٤٠٣هـ، الناشر: دار الكتب العلمية.
١٨- تفسير ابن رجب الحنبلي، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: طارق بن عوض الله، الطبعة١، ١٤٢٢هـ، الناشر: دار العاصمة.
١٩- تفسير ابن كثير، لإسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة ٢، ١٤٢٠هـ.
٢٠- تفسير ابن عرفة، لمحمد ابن عرفة المالكي، تحقيق: جلال السيوطي، الطبعة١، الناشر: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م.
٢١- تفسير أسماء الله الحسنى، لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار الثقافة العربية.
٢٢- تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) لفخر الدين الرازي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة١، ١٤٢١هـ.
٢٣- تفسير السعدي, تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ,الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة ١ – ١٤٢٠
٢٤- تفسير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة١، ١٤٢٠، الناشر: مؤسسة الرسالة.
٢٥- تفسير القرطبي، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، الطبعة:٢، ١٣٨٤هـ.
٢٦- تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا،الطبعة:١،تا:١٣٥٣،الناشر: المنار.
٢٧- التمهيد، لابن عبد البر، تحقيق: مصطفى العلوي, محمد البكري، تا:١٣٨٧، الناشر: وزارة الأوقاف المغرب.
٢٨- التوضيح عن توحيد الخلاق، لسليمان بن عبد الله،الطبعة:١، ١٤٠٤هـ، الناشر: دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية
٢٩- تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت – ٢٠٠١م
٣٠- التوضيح عن توحيد الخلاق، لسليمان بن عبد الله الناشر: دار طيبة، الرياض، الطبعة:١، ١٤٠٤هـ.
٣١- تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله، تحقيق: زهير الشاويش، الطبعة:١، ١٤٢٣هـ، الناشر: المكتب الاسلامي.
٣٢- ثلاثة الأصول، لمحمد بن عبد الوهاب، تحقيق: ناصر الطريم ، الناشر: جامعة الأمام محمدبن سعود.

٣٣- جامع المسائل، لابن تيمية، تحقيق: محمد عزير شمس، الناشر: دار عالم الفوائد، الطبعة:١، ١٤٢٢ هـ.
٣٤- جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد محمد القرشي، تحقيق: علي محمد البجادي، الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر.
٣٥- الحجة في بيان المحجة، لأبي القاسم الصبهاني، تحقيق: : محمد بن ربيع المدخلي، الناشر: دار الراية،١٤١٩هـ.
٣٦- حقيقة المثل الأعلى وآثاره، لعيسى السعدي الغامدي، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: ١، ١٤٢٧ هـ.
٣٧- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الطبعة: ٢، ١٤١١هـ.
٣٨- الدعاء آدابه وأسبابه، لليافعي، تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة:١، ١٤١٥هـ.
٣٩- ذم الكلام وأهله،لأبي إسماعيل الهروي،تحقيق: عبد الرحمن الشبل،ط:١، ١٤١٨،الناشر: مكتبة العلوم والحكم.
٤٠- رفع النقاب عَن تنقِيح الشّهابِ، لأبي عبدالله السملالي، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة:١، ١٤٢٥هـ.
٤١- روح البيان، لإسماعيل حقي، الناشر: دار الفكر – بيروت.
٤٢- روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار، لابن الخطيب، الطبعة:١، ١٤٢٣هـ، الناشر: دار القلم العربي، حلب.
٤٣- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط:١، ١٤٢٢هـ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.
٤٤- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، لناصر الدين الألباني، الناشر: دار المعارف، الطبعة:١٤١٢،١هـ.
٤٥- سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد القزويني، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الفكر.
٤٦- سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الناشر: دار إحياء التراث العربي.
٤٧- سنن النسائي، لأبي عبد الرحمن النسائي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، الطبعة:٥، ١٤٢٠،الناشر: دار المعرفة.
٤٨- شرح ثلاثة الأصول، لابن عثيمين، الناشر: دار الثريا، الطبعة:٤، ١٤٢٤هـ
٤٩- شرح حديث النزول، لابن تيمية، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة:٥، ١٣٩٧هـ.
٥٠- شرح العقيدة السفارينية، لابن عثيمين، الطبعة:١، ١٤٢٦هـ، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض.
٥١- شفاء العليل، لابن القيم، تحقيق: محمد بدر الدين الحلبي، الناشر: دار الفكر – بيروت ، ١٣٩٨.
٥٢- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد الله بن المحسن التركي، الطبعة:١٠، ١٤١٧هـ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.
٥٣- شرح العقيدة الواسطية، لمحمد بن صالح العثيمين، تحقيق: سعد فواز الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة:٥، ١٤١٩هـ.
٥٤- الصحاح للجوهري، الناشر:دار العلم للملايين، الطبعة:٤، ١٤٠٧هـ.
٥٥- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير، الطبعة:١، ١٤٢٢، الناشر:دار طوق النجاة.
٥٦- صحيح الجامع الصغير و زيادته, لمحمد ناصر الألباني, المكتب الإسلامي، الطبعة:١٤٠٦،٢هـ .
٥٧- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي.
٥٨- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، تحقيق: علي الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الطبعة:١، ١٤٠٨هـ.
٥٩- صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، لعلوي السَّقَّاف، الطبعة:٣، الناشر: الدرر السنية، ١٤٢٦هـ.
٦٠- الصفات الإلهية للشيخ محمد أمان الجامي، الناشر: مطابع الجامعة الإسلامية، الطبعة:١، ١٤٠٨هـ
٦١- الصواعق المرسلة الشهابية، لسليمان بن سحمان، الناشر: دار العاصمة، الرياض.
٦٢- صيد الخاطر، لأبي الفرج الجوزي، تحقيق: حسن المساحي سويدان، الطبعة:١، ١٤٢٥، الناشر: دار القلم.
٦٣- العبودية، لابن تيمية،تحقيق: محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي الطبعة:٧، ١٤٢٦هـ .
٦٤- العرش، للذهبي، تحقيق: محمد بن خليفة التميمي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، الطبعة: ٢، ١٤٢٤هـ.
٦٥- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد الويش، الناشر: مكتبة المعارف، الطبعة: ١، ١٤١١هـ
٦٦- فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ.
٦٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: محمود عبد المقصود وآخرون، الطبعة:١، ١٤١٧هـ، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية.
٦٨- فتح البيان في مقاصد القرآن، لمحمد صديق خان، راجعه عَبد الله الأنصَاري، الناشر: المكتبة العصرية، ١٤١٢هـ.

٦٩- فتح الرحيم الملك العلام لابن سعدي، تحقيق: عبدالرزاق البدر، الناشر:دار ابن الجوزي.
٧٠- فتح القدير، للشوكاني، الطبعة: ١، ١٤١٤،الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب.
٧١- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن حسن، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، الطبعة:٧، ١٣٧٧هـ.
٧٢- الفتوى الحموية الكبرى، لابن تيمية، تحقيق: د. حمد التويجري، الناشر: دار الصميعي، الطبعة:٢، ١٤٢٥هـ .
٧٣- قاعدة جامعة في توحيد الله، لابن تيمية، تحقيق: عبد الله بن محمد البصيري، الناشر: دار العاصمة، الرياض، الطبعة:١، ١٤١٨هـ.
٧٤- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لابن تيمية، تحقيق: ربيع المدخلي، الناشر: مكتبة الفرقان، الطبعة:١، ١٤٢٢هـ.
٧٥- القواعد الحسان لتفسير القرآن، للسعدي، الناشر: مكتبة الرشد، الطبعة:١، ١٤٢٠هـ.
٧٦- القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، الطبعة: ٢،تحقيق ١٤٠٧هـ، الناشر: مؤسسة الرسالة.
٧٧- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، لابن عثيمين، الناشر: الجامعة الإسلامية، الطبعة:٣، ١٤٢١هـ.
٧٨- القول السديد شرح كتاب التوحيد، لعبد الرحمن السعدي، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية، الطبعة: ٢، ١٤٢١هـ.
٧٩- كتاب العين، للخليل الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، تحقيق : د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي.
٨٠- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، الطبعة: ١، ١٤١٠هـ.
٨١- لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، للقشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة:٣.
٨٢- اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص الحنبلي النعماني، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة:١، ١٤١٩هـ.
٨٣- لوامع الأنوار للسفاريني، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الطبعة:٢، ١٤٠٢ هـ
٨٤- متن القصيدة النونية لابن القيم، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة:٢، ١٤١٧هـ.
٨٥- المجلى في شرح القواعد المثلى، لكاملة الكواري، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة:١، ١٤٢٢هـ.
٨٦- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة:١٤١٦، الناشر:مجمع الملك فهد لطباعة المصحف.
٨٧- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع: فهد السليمان، الناشر: دار الوطن، ١٤١٣هـ.
٨٨- مختصر الصواعق المرسلة، مؤلف الأصل: ابن قيم الجوزية، واختصره: ابن الموصلي، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث، الطبعة: ١، ١٤٢٢هـ.
٨٩- مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة:٣، ١٤١٦هـ.
٩٠- مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، الطبعة: ١، ١٤١٩، الناشر: دار هجر.
٩١- مسند أحمد، لأحمد بن حنبل، تحقيق:شعيب الأرنؤوط وآخرون، الطبعة:٢، ١٤٢٠، الناشر: مؤسسة الرسالة.
٩٢- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، لحافظ أحمد حكمي، تحقيق عمر محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الطبعة الأولى: ١٤١٠ هـ.
٩٣- معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، لمحمد بن خليفة، الطبعة:١، ١٤١٩هـ، الناشر: أضواء السلف، الرياض.
٩٤- معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي، الناشر: دار الكتب العربية، الطبعة:١، ١٤٠٨هـ.
٩٥- مفتاح دار السعادة، لابن القيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت
٩٦- مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق:محمد محي الديين عبدالحميد، المكتبة العصرية، ١٤١٦هـ.
٩٧- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
٩٨- منهاج التأسيس والتقديس، لعبد اللطيف بن عبد الرحمن، الناشر: دار الهداية.
٩٩- نهاية الإقدام للشهرستاني، تحقيق: الفرد جيوم، طبعة مصورة عن طبعة ليدن.
١٠٠- النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوى ومحمود الطناحي، طبعة: ١٣٩٩، الناشر:المكتبة العلمية.
١٠١- الواسطة بين الحق والخلق، لابن تيمية، تحقيق: محمد بن جميل زينو، الناشر: مطابع الجامعة الإسلامية، الطبعة١.